آداب العشرة
وذكر الصحبة والأخوة

لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي
٩٠٤هـ - ٩٨٤هـ

علق عليه وخرج أحاديثه
مشهور حسن محمود سلمان

دار ابن حزم

آدَابُ العِشْرَةِ
وَذِكْرُ الصُّحْبَةِ وَالأُخُوَّةِ

آداب العشرة
وذكر الصحبة والأخوة

لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي
٩٠٤هـ - ٩٨٤هـ

علق عليه وخرج أحاديثه
مشهور حسن محمود سلمان

دار ابن حزم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤١١هـ = ١٩٩٠م

دار ابن حزم
للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - ص. ب: ١٤/٦٣٦٦

مقدمة المحقق

الحمد لله على آلائه، والصَّلاة والسّلام على خير أنبيائه.

أما بعد فيقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

الأخـوّة من أجمل المعـاني التي يمكن أن يتحدّث عنهـا الإنسان، شفيفة لطيفة كالنّور، ندية، محببة إلى القلوب، ولكن... ما «الأخوة» التي وردت الإشارة إليها في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ؟؟.

يستطيع اثنان من البشر وهما يسيران في الطّريق الواسع ـ في الأمن والسّلامة ـ أن يتآخيا. أن يسيرا معاً، وقد لَفَّ كلٌّ منهما ذراعه حول أخيه من الحبّ.

ولكن انظر إليهما وقد ضاق الطّريق، فلا يتّسع إلا لواحدٍ منهما يسير وراء الآخر... فمن أُقدّم؟ أقدّم نفسي، أم أُقدّم أخي، وأتبعه؟.

ثم انظر إلى الطّريق، قد ضاق أكثر، فلم يعد يتّسع إلا لواحدٍ منهما فقط، دون الآخر! إنها فرصة واحدة، إما لي وإما لأخي... فمن أُقدّم؟.

أقول: هذه فرصتي، ولْيبحث هو لنفسه عن فرصة؟.

أم أقول لأخي:

خُذْ هذه الفرصة أنت، وأنا أبحث لنفسي؟!.

هذا هو «المحكّ».

---

(١) سورة الحجرات: آية ١٠.

إن الأُخوّة في الأمن والسّلامة، لا تكلّف شيئاً، ولا تتعارض مع رغائب النّفس. بل هي ذاتها رغبة من تلك الرّغائب، يسعى الإنسان لتحقيقها مقابل الرّاحة النّفسيّة التي يجدها في تحققها.

أمّا في الشّدّة ـ أو في الطّمع ـ فهنا تختبر الأخوّة، الاختبار الحق الذي يتميز فيه الإيثار والحبّ للآخرين، من الأثرة وحبّ الذات التي قد تخفى على صاحبها نفسه في السّلام والأمن، فيظنّ نفسه «أخاً» محقّقاً لكل مستلزمات الأخوّة!! [1].

* * *

رسالة «آداب العشرة وذكر الصّحبة والأُخوة»:

ذكر أبو البركات ـ رحمه الله تعالى ـ في رسالتنا هذه «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» خصالاً وحقوقاً وآداباً يجب أن يعتني بها الأخ مع أخيه، ووفّق المصنّفُ في ذكر هذه الخصال، إذ لم يَنْحُ إلى مثاليةٍ تحلّق في آفاقٍ من التفلسف المحض، أو تهوم في سبحات من التأمّل المجرد البعيد عن الواقع، بحيث يجعل الأُخوّة مستعصيةً.

كأن يقول قائل: «إن النّاس يعملون على دَفن الخير، ونشر الشّر. يدفنون الحسنة، ويظهرون السّيئة. فإن كان المرء عالماً بدَّعوه، وإن كان جاهلاً عيّروه، وإن كان فوقهم حسدوه، وإن كان دونهم حقروه، وإن نطق قالوا: مِهْذار، وإن سكت قالوا: عَييٌّ، وإن قَدَر قالوا؛ مُقَتّر، وإن سمح قالوا: مبذِّر. فالنّادم في العواقب، المحظوظ عن المراتب، مَنْ اغترَّ بقومٍ هذا نَعْتُهم، وغرّه ناس هذه صفتهم»[2].

ولا هو يخلد إلى الواقع على علّاته، لا لشيء إلا لكونه واقعاً، بل نراه

---

(١) واقعنا المعاصر: (ص ٤٨٩ ـ ٤٩٠) لمحمد قطب.

(٢) روضة العقلاء: (ص ٨٣) لابن حبّان.

يوائم بين ما يقتضيه هذا الواقع، وبين ما ينشد إليه الإسلام، فيرتقي [1] بالواقع إرتقاءً يقرّبه إلى مثاليةٍ زُلفى.

ومما لا شك فيه أننا ـ ونحن في غربة الإسلام الثانية ـ نحتاج إلى ما احتاج إليه الأمر في الغربة الأولى، إذا صُنِعت الجماعة التي ربّاها رسول الله ﷺ، بالقرآن... بالمصاحبة.. بالمعايشة.. بالتّوجيه المستمر.. بالقدوة في شخصه الكريم ﷺ... بالحبّ الذي يفيض من قلبه الكبير إليهم، بالاهتمام بكل فردٍ منهم، كأنه هو الأثير عنده، بالممارسة العمليّة للمشاعر الإيمانية.

بهذه الوسائل مجتمعة، ربّى رسولُ الله ﷺ هذه الجماعة المتآخية، التي صنعت بتآخيها الأعاجيب، وأقام ذلك البنيان المتين المترابط، الذي يشدّ بعضه بعضاً فيقويه[2].

وأخيراً... اللَّهَ تعالى أسأل، وبأسمائه وصفاته أتوسل، أن يكتب لي أجراً في نشر هذه الرسالة[3]، وأجرين فيما علّقتُه عليها. وأن يوفّقنا للمزيد من خدمة تراثنا العظيم.

وصلى الله على سيّدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

---

(١) أي الإسلام.

(٢) واقعنا المعاصر: (ص ٤٩١) بتصرف.

(٣) وقد نشرها مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة (١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م)، بعناية الدكتور عمر موسى باشا، الذي اكتفى بضبط نَصِّها دون تخريج أحاديثها أو التعليق عليها إلا بالنّزر اليسير، وقد أثبت هذه التعليقات وميزتها بوضع (هـ) في آخرها.

ترجمة المؤلف[1]

* اسمه:

هو بدرالدين أبو البركات محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن

(١) مصادر ترجمته:
١ ــ الكواكب السّائرة بأعيان المئة العاشرة: (٣/٣ ـ ١٠).
٢ ــ شذرات الذّهب في أخبار مَنْ ذهب: (٨/٤٠٣ ـ ٤٠٦).
٣ ــ كشف الظنون: (ص١٥٣، ٢٤٠، ٣٨٠، ٤٤٣، ٤٥٤، ٤٧٨، ٥٩٦، ٧٣٠، ٧٣٥، ٨٣٦، ٨٥٦، ١٢٦٠، ١٣٣٢، ١٦١٧، ١٦٥١.
٤ ــ هدية العارفين: (٢/٢٨٥).
٥ ــ إيضاح المكنون: (١/٥، ٣١٤، ٣٣٠، ٣٤٣ و٢/١٠٥، ٤٩٧، ٦٥٨، ٦٥٩).
٦ ــ فهرس المخطوطات المصورة: (٢/٣، ٢٤٨، ٢٥٢).
٧ ــ ريحانة الألباء: (٧٢).
٨ ــ مجلة معهد المخطوطات العربية: (١٧/٢٣١ ـ ٢٣٢).
٩ ــ فهرس مخطوطات الجغرافية بالظاهرية: (٦٤).
١٠ ــ فهرس اللغة بالظاهرية: (٩١، ٩٢).
١١ ــ فهرس البلاغة بالظاهرية: (٢١٦ ـ ٢١٨).
١٢ ــ فهرس الفقه الشافعي بالظاهرية: (٧٧، ١٤٨).
١٣ ــ الزيارات للعدوي: (٩٩).
١٤ ــ فهرس التفسير بالظاهرية: (١٨٩، ١٩٠، ٢١٠، ٢١١).
١٥ ــ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق: (٢٠/١٨٢، ١٨٣ و٤٤٨ و (٤٢/٥٠٣ و٧٣٢) و(٤٧/١٤٣).
١٦ ــ معجم المؤلفين: (١١/٢٧٠ ـ ٢٧١).
١٧ ــ المستدرك على معجم المؤلفين: (٧٣٨ و ٨٨٩ ـ ٩٩٠).
١٨ ــ الأعلام: (٧/٥٩).

بدر بن عثمان بن جابر الغزي العامري الدمشقي، الشيخ الإمام، العالم العلّامة، المحقق المدقق الهمام.

*** مولده ونشأته وشيوخه:**

كان ميلاده في وقت العشاء، ليلة الإثنين، رابع عشر ذي القعدة الحرام سنة أربع وتسعمائة.

أحسن والده تربيته فكان أول ما فتق لسانه بذكر الله تعالى، ثم قرأ القرآن العظيم على المشايخ الصالحين، الفضلاء النبلاء البارعين، منهم:

محمد البغدادي، ومحمد ابن السبكي، ومحمد النشائي، ومحمد اليماني، والشيخ سمعة القاري وجوّد عليه القرآن، وعلى الشيخ العلامة بدر الدين علي بن محمد السنهودي بروايات العشرة.

ثم لزم في الفقه والعربية والمنطق والده الشيخ العلامة رضي الدين، وقرأ في الفقه على الشيخ تقي الدين أبي بكر ابن قاضي عجلون، وكان مُعجباً به، يلقّبه: (شيخ الإسلام)، وأكثر انتفاعه بعد والده عليه.

ثم أخذ الحديث والتصوّف على الشيخ بدر الدين حسن بن الشويخ المقدسي. ثم رحل مع والده إلى القاهرة، فأخذ عن شيخ الإسلام بها القاضي زكريا الأنصاري، وأكثر انتفاعه في مصر به، والبرهان ابن أبي شريف، والبرهان القلقشندي، والقسطلاني وغيرهم.

وبقي في الاشتغال بمصر مع والده نحو خمس سنوات، واستجاز له والده قبل ذلك من الحافظ جلال الدين السيوطي.

*** اشتغاله بالعلم:**

تصدّر المصنِّفُ بعد عوده من القاهرة للتدريس والإفادة، واجتمعت عليه الطلبة وهو ابن سبع عشرة سنة، واستمرَّ على ذلك إلى الممات،

مشتغلاً في العلم، تدريساً وتصنيفاً وإفتاءً، ليلاً ونهاراً، مع الاشتغال بالعبادة وقيام الليل.

وأفتى وألَّف وشيوخه أحياء، فقرَّتْ أَعينُهُم به، ونظم الشعر وكان أول شعر نظمه وهو ابن ست عشرة سنة قوله:

يـا ربّ يـا رحـمٰـن يـا الله يـا منقـذ المسكين من بلواه
امنن عليَّ وَجُدْ بما ترضاه بجزيل فضل منك يا الله

وتولّى المصنّف الوظائفَ الدينيّة، كمشيخة القرَّاء بالجامع الأمويّ، وإمامة المقصورة، ودرّس بالعادلية، ثم بالفارسيّة، ثم الشامية البرانيّة، ثم المقدَّمية، ثم التقوية، ثم جمع له بينها وبين الشاميّة الجُوَّانية ومات عنهما.

*** تلاميذه وعلاقته بهم:**

انتفع به النَّاسُ طبقة بعد طبقة، ورحلوا إليه من الآفاق.

وكان يعطي الطلبة كثيراً، ويكسوهم، ويجري على بعضهم.

وقد جمع المصنّفُ طلبتَه الذين حملوا عنه العلم في فهرست، وممن أخذ عنه الحديث وغيره من قضاة دمشق: القاضي محمد أفندي المعروف ب «جوي زادة»، والقاضي محمد أفندي بن بستان، وكل منهما صار مُفتياً بالتخت السُّلطانيّ العثمانيّ.

والمفتيان بدمشق: ابن العبد وفوزي أفندي وجماعة آخرون. وهؤلاء كانوا يفتخرون بالشيخ، وأَخْذهم عنه.

وأما مَنْ أَخَذَ عنه من أَجلّاء مصر والشَّام، فكثيرون، تضمّن أكثرهم الفهرست المذكور.

*** مصنَّفاته:**

بلغت تصانيف الشيخ في سائر العلوم مائة وبضعة عشر مصنَّفاً، من أشهرها:

التفاسير الثلاثة: المنثور والمنظومان، وأشهرها المنظوم الكبير في مائة ألف بيت وثمانين ألف بيت.

وحاشيتان على شرح المنهاج للمحلّي، وشرحان على المنهاج: كبير وصغير، وفتح المغلق في تصحيح ما في الرّوضة من الخلاف المطلق، وكتاب التنقيب على ابن النّقيب.

والدر النَّضيد في أدب المفيد والمستفيد، وشرح الصدور بشرح الشذور، وشرح التوضيح لابن هشام واللمحة في اختصار الملحة، ونظم الجرومية، وهو أول تأليفه.

* **شعره:**

شعر المصنّف في غاية الحسن والقوة، وأكثره في الفوائد العلميّة، منه ما قاله مجيباً الحافظ السيوطي حيثُ قال الحافظ:

أليس عجيباً أن شخصاً مسافراً ... إلى غير عصيان تباح له الرخص
إذا ما توضأ للصلاة أعادها ... وليس مُعيداً للذي بالتراب خص

فأجاب عنه المصنف بقوله:

جوابك ذا ناس جانبته لما ... توضأ فيه طهره عنه قد نقص
وما جاء فيه بالتيمم سائغ ... ومن حكمة الأجزاء فيه عليه نص

وقال مداعباً لشخص يقال له يحيى الطويل، وكان في دمشق آخر، يقال له يحيى القصير:

رأيتُ القصيرَ أشرَّ الورى ... وليس له في الأذى من مثيل
فلو كنتُ خيّرتُ لاخترتُ أن ... يموتُ القصير ويحيى الطويل

وشعْرُهُ مدوَّن في كتاب مستقل، دوّنه ابنّه نجم الدين.

* **عزلته:**

لزم المصنّف العزلة عن الناس في أواسط عمره، لا يأتي قاضياً ولا

حاكماً ولا كبيراً، بل هم يقصدون منزله الكريم للعلم وطلب الدعاء، وإذا قصده قاضي قضاة البلدة أو نائبه لا يجتمع به إلا بعد الاستئذان عليه، والمراجعة في الإذن، وكانت دعوته لكل مَنْ قصده من الحكام: «ألهمك الله العدل».

* مرضه ووفاته:

تمرّض المصنّف أياماً، وكان ابتداء مرضه في ثاني شوال سنة أربع وثمانين وتسعمائة، واستمرّ مريضاً إلى يوم الاربعاء سادس عشر شوال المذكور، فتوفي إلى رحمة الله تعالى عقب آذان العصر، وهو يسمع الآذان جالساً.

وصلّى عليه الجمعُ الغفير من الغدّ يوم الخميس، بعد صلاة الظهر في الجامع الأموي، وتقدّم للصَّلاة عليه الشيخ شهاب الدين العيثاوي، مفتي الشافعية بدمشق. ودفن بتربة الشيخ أرسلان، خارج باب توما، من أبواب دمشق.

وكانت جنازته حافلةً جدّاً، بحيث اتّفق الشيوخُ الطّاعنون في السِّنِّ وغيرهم أنهم لم يشهدوا بدمشق مثلها. فامتلأت المقبرة من الناس، والطريق من الجامع إليها مع طوله والجنازة لم تخرج بعد من الجامع، وقد خيمت بالجنازة وأظلّتها طائفةٌ من الطّير خضر، كان الناس يقولون: إنها الملائكة، ولما وصلت الجنازة على الرؤوس إلى المقبرة أظلّتْهم سحابةٌ لطيفة، وأمطرتهم مطراً مباركاً، أرسله الله تعالى.

وقال ماميَّه الشَّاعر مؤرِّخاً لوفاته:

أبكى الجوامع والمساجد فَقْدُ مَن ... قد كان شمس معارف التمكين
وكذا المدارس أظلمت لما أتى ... تاريخه بخفاء بدر الدين[1]

رحم الله المصنِّف رحمة واسعة، وجزاه عن طلبة العلم وأهله خير الجزاء.

(١) مجموع الحروف في قوله: «بخفا بدرالدين» بحساب الجُمل!! ٩٨٤ وهو سنة الوفاة.

آداب العشرة
وذكر الصحبة والأخوة

لأبي البركات بدر الدين محمد الغزي
٩٠٤هـ - ٩٨٤هـ

علق عليه وخرج أحاديثه
مشهور حسن محمود سلمان

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمدُ للّهِ الذي أكرمَ خواصَّ عبادِهِ بالألفةِ في الدينِ، ووفَّقهم لإكرامِ عبادِهِ المُخلصينَ، وزيَّنَهم بالأخلاقِ الكريمةِ والشِّيمِ الرَّضيّةِ[1]، تأدُّباً بأفضلِ البشريَّةِ، وسيِّدِ الأمَّةِ محمّدِ بنِ عبدِاللَّهِ بنِ عبدالمطَّلبِ ﷺ.

اعلمْ أيُّها الأخُ الصّالحُ ـ أصلَحَ اللَّهُ شأنَنا ـ أنَّ لأدبِ الصُّحبةِ وحُسْنِ العِشْرَةِ أوجهاً، وأنا مُبيِّنٌ مِنْها ما يدلُّ العاقلَ على أخلاقِ المؤمنينَ وآدابِ الصالحينَ، ويعلمُ أنَّ اللَّهَ ـ سُبحانَهُ وتعالى ـ جعلَ بعضَهُمْ لبعضٍ رَحْمَةً وَعَوْناً، ولذلك قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ المؤمنينَ في توادِّهِمْ وتراحمِهِمْ كمثلِ الجَسَدِ، إذا اشتكى منه عُضوٌ تَداعى سائرُهُ بالحُمَّى والسَّهرِ»[2].

وقالَ عليه السَّلامُ: «المُؤمنُ للمُؤمنِ كالبُنيانِ المرصوصِ يشدُّ بعضُه بعضاً»[3].

وقالَ عليهِ السَّلامُ: «الأرواحُ جنودٌ مجنَّدةٌ، ما تعارفَ مِنْها ائتلفَ، وما تَناكرَ مِنها اختلفَ»[4].

---

(١) الشَّيْمَة: خَلِيْقَةُ الإنسان، والشِّيم الرَّضيّة: الأخلاق المَرْضيّة.
انظر: «لسان العرب»: (٢/٣٩٥) و«معجم مقاييس اللغة»: (٣/٢٣٦) مادة (شيم).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٣٨/٦٠١١) ومسلم في «الصحيح»: (٤/٢٠٠٠/٢٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١/٥٦٥/٤٨١) و(٥/٩٩/٢٤٤٦) و(١٠/٤٤٩/ ٥٥٠/٦٠٢٦) ومسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٩٩/٢٥٨٥).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٦/٣٦٩/٣٣٣٦) معلقاً عن عائشة رضي الله=

وقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إنَّ الأرواحَ تلاقَى في الهوى فتشامُّ، فما تعارفَ مِنْها ائتلفَ، وما تناكرَ مِنْها اختلف»[1].

فإذا أرادَ اللَّهُ بعَبْدٍ خَيْراً وفَّقَهُ لمُعاشرةِ أهلِ السُّنَّةِ والصَّلاحِ والدِّينِ، ونَزَّهَهُ عن صُحبةِ أَهِل الأهواءِ والبِدَعِ المخالفينَ.

وقالَ عليهِ السَّلامُ: «المرءُ على دينِ خليلِهِ، فلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخالِلُ»[2].

= عنها ووصله أبو يعلى في «المسند»: (٧/٣٤٤/٤٣٨١) بإسناد رجاله رجال الصحيح كما في «المجمع»: (٨/٨٨) والبخاري في «الأدب المفرد»: (٩٠٠) وابن عدي في «الكامل»: (٦/٢٢٩٩ و٧/٢٦٧١) وأبو الشيخ في «الأمثال»: (١٠٠) والخطيب في «التلخيص»: (١/١٤١) والبيهقي في «الأداب» (٣١٠) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٢٧٤) والإسماعيلي في «مستخرجه» وابن زنبور في «فوائده» كما في «الفتح»؛ (٦/٣٧٠) و«التغليق»: (٤/٧) و«عمدة القاري»: (١٥/٢٢٥).
والحديث صحيح، له شواهد من حديث علي ـ وسيأتي قريباً ـ وأبي هريرة عند مسلم في «الصحيح»: (٤/٢٠٣١/٢٦٣٨) وغيره وابن مسعود وسلمان الفارسي وابن عمر رضي الله تعالى عنهم.

(١) أخرجه بهذا اللفظ: ابن مندة في «النفس والروح» كما قال ابن القيم في «الروح»: (٤٤) وأبو الشيخ في «الأمثال»: (١٠٧) والطبراني في «الأوسط» كما في «المجمع»: (١/١٦٢) وصوّب الدارقطني في «العلل»: (٤/١٨٨) والعقيلي في «الضعفاء الكبير»: (١/١٣٥) وقفه على عليّ رضي الله عنه، وهو الأشبه.

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٤/٢٥٩/٤٨٣٣) والترمذي في «الجامع»: (٤/٥٨٩/٢٣٧٨) والطيالسي في «المسند» (٢١٠٧) وأحمد في «المسند»: (٢/٣٠٣، ٣٣٤) والحاكم في «المستدرك»: (٤/١٧١) والبيهقي «الآداب»: (٣٠٨) وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/١٦٥) والبغوي في «شرح السنة»: (١٣/٧٠/٣٤٨٦) وغيرهم من طرق عن أبي هريرة، وفي بعضها ضعف: ولكن يصل بمجموعها إلى درجة الحسن، ولهذا حسنه الترمذي، وصححه النووي في «رياض الصالحين»: (١٧٤) وأخطأ ابن الجوزي في ذكره في «الموضوعات» كما قال السيوطي في «الدرر المنتثرة»: (٣٦٦).

ولبعضِهِمْ:

عن المَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عن قرينِهِ فكلُّ قرينٍ بالمُقَارنِ يقْتَدِي[1]

ومِنْ كلامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ، كرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ:

ولا تَصْحَبْ أخا الجَهْل وإيـاكَ وإيَّـاهُ
فكَمْ مِنْ جاهلٍ أَرْدَى حَلِيماً حينَ يلقاهُ
يَقاسُ المرءُ بالمرءِ إذا ما هو ماشاهُ
وللشَّيءِ على الشيءِ مقاييسُ وأَشباهُ
وللقَلْبِ على القَلْبِ دليلٌ حينَ يلقاهُ[2]

---

(١) القائل هو عدي بن زيد، الشاعر الجاهلي كما في «مجموعة المعاني من الآداب والحكم»: (١٤، ١٥).

(٢) الأبيات منسوبة إلى علي رضي الله عنه كما في «الموشى»: (ص ١٧) و«روضة العقلاء»: (ص ١١٨) وفي نسبتها له نظر، كما قال محقق: «روضة العقلاء».

[آداب العشرة]

فَمِنْ آدابِ العِشْرَةِ:

[حُسْنُ الخُلُقِ]

حُسْنُ الخُلُقِ مَعَ الإخوانِ والأقرانِ[1] والأصحابِ، اقتداءً برسولِ اللَّهِ ﷺ فإنَّهُ قال، وقد قيلَ له: ما خيرُ ما أُعطِيَ المرءُ؟ قالَ: «حُسْنُ الخُلُقِ»[2].

[تحسينُ العيوبِ]

ومِنْها تحسينُ ما يعاينُهُ من عيوب أصحابِهِ؛ فقد قالَ ابنُ مازنٍ: (المؤمنُ يطلبُ معاذيرَ إخوانِهِ، والمنافقُ يَطْلُبُ عَثَراتِهِمْ)[3]، وقالَ حَمْدونٌ

---

(١) هو المثل والكفء والنّظير في الشجاعة والحرب، كما في «أساس البلاغة»: (ص ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: (٢/١١٣٧/٣٤٣٦) والحاكم في «المستدرك»: (٤/١٩٩، ٣٩٩) وأحمد في «المسند»: (٤/٢٧٨) والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٩/٣٤٣) وابن حبان: (٧/٦٢١/٦٠٢٩ ـ الإحسان) وقال: «قال سفيان: ما على وجه الأرض اليوم إسناد أجود من هذا» والحميدي في «المسند»: (٢/٣٦٣/٨٢٤) والطيالسي (١٢٣٣). وإسناده صحيح على شرط الشيخين، كما قال الحاكم ووافقه الذهبي، وكذا قال ابن دقيق العيد في «الاقتراح»: (٤٤٠) وصححه العراقي في «تخريج الإحياء»: (٢/١٥٧) والبوصيري في «الزوائد»: (٣/١١٤) وابن الملقّن في «تحفة المحتاج»: (٢/٨٠٧).

(٣) لا بُدّ من الصفح عن الزلّات، وعدم تتبع العثرات، وحمل فعل المؤمنين على=

القصَّارُ: (إذا زَلَّ أخٌ مِنْ إخوانِكَ، فاطلُبْ لَهُ تسعينَ عُذْراً، فإنْ لم يَقْبلْ ذَلِكَ فَأَنتَ المعيبُ).

[معاشرةُ المؤمنِ]

ومِنْها مُعاشرةُ الموثوقِ بدينِهِ وأمانتِهِ ظاهِراً وباطناً[1]. قال اللَّهُ تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[2] الآيةُ.

[أوجهُ المعاشرةِ]

وللمُعاشرةِ أوجهٌ:

فلِلْمشايخِ والأكابرِ: بالحُرْمةِ والخِدْمَةِ والقيامِ بأشغالِهِمْ.

ولِلأَقْرانِ والأَوساط: بالنَّصيحةِ وبَذْلِ الموجودِ والكونِ[3] عندَ الأحكامِ، ما لم يكنْ إثماً.

وللمُريدينَ[4] والأصاغرِ: بالإرشادِ والتأدُّبِ والحَمْلِ على ما يُوجِبُهُ

= الأعذار، ولا يكون ذلك إلا مِنْ عاقلٍ يلزم السَّلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن مَنْ اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطّلع على عيبٍ لنفسه: هان عليه ما يرى مثله من أخيه.

(١) انظر ـ غير مأمور ـ «روضة العقلاء»: (ص ٩٩، ١٠٠ و١٠٢).

(٢) سورة المجادلة: آية ٢٢.

(٣) أي: أن يكون على استعدادٍ تامٍ لخدمتهم والعناية بشؤونهم.

(٤) مصطلح صوفي، معناه: «الذي ينقطع!! إلى شيخ يأخذ الطريقة!! عنه، ويتأدب بآدابه، ولا ينتقل إلى سواه إلا بإذنه!! وذلك لأن الشيخ ـ أو هكذا يفترض ـ =

العِلْمُ، وآدابُ السُّنَّةِ، وأَحكامُ البواطنِ، والهِدايةُ إلى تقويمها بحُسْنِ الأَدَبِ.

[الصفحُ عن العثرَاتِ]

ومِنْها الصَّفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ، وتَرْكُ تأنيبِهِمْ عليها. قالَ الفضيلُ بنُ عياضٍ[1]: (الفُتوَّةُ الصَّفحُ عن عَثَراتِ الإخوانِ)، فكما يجبُ على العبدِ الأدبُ مَعَ سيِّدِهِ، يجبُ عليهِ معاشرةُ مَنْ يُعينُهُ عليهِ. قالَ بعضُ الحكماءِ: (المؤمنُ طبعاً وسجيَّة)[2]، وقالَ ابنُ الأعرابيِّ[3]: (تناسَى مساوىء الإخوانِ يَدُمْ لكَ وُدُّهُمْ).

وواجبٌ على المُؤْمن [أن][4] يجانبَ طُلّابَ الدُّنيا، فإنَّهُمْ يَدلُّونَهُ على طَلَبِها ومَنْعِها، وذلك يُبْعِدُهُ عن نجاتِهِ ويَقَظَتِهِ عَنْها، ويَجْتَهِدَ في عِشْرَةِ أَهلِ الخير وطُلّابِ الآخرةِ؛ ولذلكَ قالَ ذو النُّونِ[5] لمَنْ أَوصاهُ: (عليكَ بصُحبةِ مَنْ تَسْلَمُ مِنْهُ في ظاهرِكَ، وتُعينُكَ رؤيتُهُ على الخيرِ، ويُذكِرُكَ مولاكَ).

= مجتهد في باب التزكية والتربية، وهذا من غريب وعجيب أمرهم، إذ أنهم اجترأوا في البحث عن سبل التزكية والتربية، ففتحوا باب الاجتهاد بينما هم أغلقوه في المعاملات، وكان الواجب عليهم العكس.

(١) انظر ترجمته في: «الجواهر المضية»: (١/ ٤٠٩) و«النجوم الزاهرة»: (٢/ ١٢١) و«وفيات الأعيان»: (١/ ٤١٥) و«التهذيب»: (٨/ ٢٩٤).

(٢) كذا في الأصل، وفيه سقط، وأصله «المؤمن طبعه وسجيته الصّفح عن العثرات» كما في «شرح الهمم»: (١٢٦).

(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد»: (٥/ ٢٨٢) و«وفيات الأعيان»: (١/ ٤٩٢).

(٤) ما بين المعقوفين غير موجود في الأصل.

(٥) انظر ترجمته في: «لسان الميزان» (٢/ ٤٣٧) و«وفيات الأعيان»: (١/ ١٠١) و«النجوم الزاهرة»: (٢/ ٣٢٠).

[موافقةُ الإخوانِ]

ومِنْها قِلَّةُ الخِلافِ لـلإخوانِ، ولـزومُ مـوافقتِهِمْ فيمـا يُبيحُـهُ العِلْمُ والشَّريعة[1]. قالَ أبو عثمانَ: (مُوافَقَةُ الإخوانِ خيرٌ مِنَ الشَّفَقَةِ عليهِمْ).

[الحَمْدُ على الثَّناءِ]

ومِنْها أَنْ يَحْمَدَهُمْ على حُسْنِ ثنائِهِمْ، وإِنْ لم يُساعدْهُمْ باليَدِ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «نيَّةُ المؤمنِ أَبلغُ مِنْ عملِهِ»[2]. قال عليٌّ كـرَّم اللَّهُ وجهَهُ: (مَنْ لم يَحمِلْ أخاهُ على حُسْنِ النِّيَّةِ، لم يَحْمَدْهُ على حُسْنِ الصَّنعةِ).

[تركُ الحَسَدِ]

ومِنْها أَلَّا يَحْسُدَهُمْ على ما يَرَى عليهِمْ مِنْ آثارِ نِعمةِ اللَّهِ، بل يَفْرَحُ بذلكَ، ويَحْمَدُ اللَّهَ على ذلكَ كما يَحْمَدُهُ إذا كانَتْ عليهِ؛ فإِنَّ اللَّهَ تعالى ذمَّ

---

(١) لا يجوز السكوت عن المساوىء بحيث تجعل مرتكبُها يصرُّ عليها، وتكون فيه طبعاً لازماً فتؤدّي به إلى الإثم، فيجب حينئذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع مراعاة القاعدة الذهبية (**كسب القلوب أولى من كسب المواقف**)، أما المخالفة في المسائل الاجتهادية، فينبغي أن لا تتجاوز دائرة العقول، قال يونس الصدفي: ما رأيتُ أعقل من الشافعي، ناظرتُه يوماً في مسألةٍ، ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى! **ألا يستقيم أن نكونَ إخواناً، وإنْ لم نتّفق في مسألة**، من «سير أعلام النبلاء»: (١٠/١٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٦/٢٢٨/٥٩٤٢) والخطيب في «التاريخ»: (٩/٢٣٧) وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/٢٥٥) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (١٤٨) والديلمي في «الفردوس»: (٤/٢٨٥/٦٨٤٢).
قال الهيثمي في «المجمع»: (١/٦١، ١٠٩) رجاله موثوقون إلا حاتم بن عباد بن دينار لم أرَ مَنْ ذكر له ترجمة، وأطلق العراقي أنه ضعيف من طريقه، قاله المناوي في «فيض القدير» رقم (٩٢٩٦). وللحديث شواهد يتقوى بها كما قال السخاوي في «المقاصد»: (٧٠٢)، وللشيخ علي القاري رسالة مفردة في طرقه يرى أنه حسن بمجموع طرقه، والله تعالى أعلم.

[الحاسدين][1] على ذلكَ بقولِهِ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[2]، وقالَ عليهِ السَّلامُ: «كادَ الحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ القَدَرَ»[3]، وقالَ: «لا تَحاسَدُوا»[4].

[عدمُ المواجهةِ بما يكرهُ]

ومِنْها أَلَّا يواجِهَهُمْ بما يَكْرَهونَ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهى عنْ ذلكَ[5].

[ملازمةُ الحياءِ]

ومنها مُلازمةُ الحياءِ في كلِّ حالٍ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «الإيمانُ بضعةٌ وسبعونَ ـ أو وستونَ ـ باباً، أفضلُها شهادةُ أَنْ لا إِلٰهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدناها إماطةُ الأَذَى عن الطَّريقِ، والحياءُ شعبةٌ مِنْ الإيمانِ»[6]. وقالَ رجلٌ للنبيِّ

---

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في الأصل.

(٢) سورة النساء: آية ٥٤.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٩/٩٤) وهناد في «الزهد»: (٢/٦٤١/١٣٩٢) وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/٥٣، ١٠٩) و«تاريخ أصبهان»: (١/٢٩٠) والدولابي في «الكنى»: (٢/١٣١) والعقيلي في «الضعفاء»: (١/٢٥٤) و(٤/٢٠٦) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٥٨٦، ٥٨٧) وابن الجوزي في «العلل المتناهية»: (٢/٣٢٠) وابن منيع كما في «المطالب العالية»: (١/١٣٩) وإسناده ضعيف، كما في «ضعيف الجامع»: (٤/١٣٣) و«تخريج أحاديث مشكلة الفقر»: رقم (٢).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٨٤/٦٠٦٦) ومسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٨٥/٢٥٦٣) وأسهبتُ في الكلام على طرقه في كتابي «إضاءة الشموع في بيان الهجر المشروع والممنوع» نشر دار ابن القيم ـ الدمام، فانظره غير مأمور.

(٥) انظر «مسند أحمد»: (٣/١٥٤، ١٦٠) و«سنن أبي داود»: (٤/٨١، ٢٥٠) و«تحفة الأشراف»: (١/٢٢٨).

(٦) أخرجه من طرق عديدة ـ مطولاً ومختصراً ـ جماعةٌ منهم البخاري في «الصحيح»: (١/٥١/٩) ومسلم في «الصحيح»: (١/٦٣/٣٥) والنسائي في «المجتبى»: (٨/١١٠) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣٦٥/٢٠٠٩) وابن ماجه في «السنن»: (١/٢٢/٥٧).

عليهِ السَّلامُ: أوصِني، قال: «اسْتَحيي مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ كما تستحيي رجلاً مِنْ صالحِ قومِكَ»[1]. وقالَ: «الحياءُ مِنْ الإيمان، والإيمانُ في الجنَّةِ، والبَذاءُ مِنَ الجَفاءِ، والجَفاءُ في النَّارِ»[2].

[المروءةُ والمحبَّةُ]

ومِنَ المعاشرةِ صِدقُ المُروءَةِ وصفاءُ المحبّةِ، فإنَّها لا تَتِمُّ إلاّ بِهما.

[إظْهارُ الفَرحِ والبَشَاشةِ]

ومِنْها بَشاشةُ الوجهِ، ولُطْفُ اللِّسانِ، وَسَعَةُ القلبِ، وبَسْطُ اليَدِ، وكَظْمُ الغَيظِ، وتَرْكُ الكِبْرِ، ومُلازَمةُ الحُرْمَةِ، وإظهارُ الفَرَحِ بما رُزِقَ مِنْ عِشْرَتِهِمْ وأُخُوَّتِهِمْ.

[صحبةُ العالِمِ العاقلِ]

ومِنْها أَلاَ يَصْحَبَ إلاَّ عالماً، أو عاقلاً فقيهاً حليماً. قالَ ذو النُّونِ رَحْمَةُ اللَّهِ عليهِ: (ما خَلَعَ اللَّهُ على عبدٍ مِنْ عبيدِهِ خِلْعَةً أحسنَ من العقلِ، ولا قَلَّدَهُ قِلادةً أجملَ من العلم، ولا زيَّنَهُ بزِينةٍ أفضلَ مِنَ الحِلْم، وكمالُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق»: (٩١) والخرائطي في «مكارم الأخلاق» أيضاً: (ص ٥٠) وابن عدي في «الكامل»: (٢/٥٦٠) و(٤/١٤١٠) والبزار والطبراني كما في «المجمع»: (٦/١٤٨) و(٨/٢٣) من حديث أبي أمامة ومعاذ، وفي أسانيدها مقال.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٤/٣٦٥) وابن أبي شيبة في «المصنف»: (٨/٣٣٥) وهنّاد في «الزهد»: (٢/٦٢٦/١٣٥١) وأحمد في «المسند»: (٨/٣٣٤) وابن حبان: رقم (٦٠٧، ٦٠٨ ـ الإحسان) والحاكم في «المستدرك»: (١/٥٢، ٥٣) والبغوي في «شرح السنة»: (١٣/١٧٢/٣٥٩٥). والخرائطي في «مكارم الأخلاق»: (ص ٤٩) من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح، وله شاهد من حديث أبي بكرة. والبذاء: الفحش في القول. وانظر: تخريجنا لكتاب «الكبائر»: (ص ٢١٤).

ذلكَ التَّقوى). وقالَ عليه السَّلامُ: «مِن سعادةِ المرءِ أَنْ يكونَ إِخوانُهُ صالحين»[1].

[سلامةُ القلبِ وإسداءُ النصحيةِ]

ومِنْها سلامةُ قلبِهِ للإِخوانِ، والنصحيةُ لهمْ، وقبولُها مِنهم، لِقولِهِ تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[2]. وقالَ السَّقطي[3] رحمَهُ اللَّهُ: (مِنْ أجلِّ أخلاقِ الأبرارِ سلامةُ الصَّدرِ للإِخوانِ والنَّصيحةُ لهمْ).

[حِنْثُ الوَعْدِ]

ومِنْها أَلّا يَعِدَهُمْ ويُخالِفَهُمْ، فإِنَّه نِفاقٌ. قالَ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ: «علامةُ المُنافِقِ ثلاثٌ: إِذا حَدَّث كَذَبَ، وإِذَا وعدَ أخلفَ، وإِذا ائْتُمِنَ خان»[4]. وقال الثَّوْري[5] رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا تَعِدْ أخاكَ وَتُخْلِفَهُ فتعودَ المحبَّةُ بِغْضَةً). وأَنشدُوا:

يـا واعداً أَخلفَ في وعْـدِهِ ... ما الخُلْفُ مِنْ سيرةِ أَهلِ الوَفَا
ما كانَ ما أَظهرْتَ مِن وُدِّنـا ... إِلّا سِراجاً لاح[6] ثم انطَفا[7]

---

(١) أخرجه السّلمي في «آداب الصحبة» رقم (٢٨) وابن أبي الدنيا في «الإخوان» رقم (٥٤) وإسناده ضعيف جداً.
(٢) سورة الشعراء: آية ٨٩.
(٣) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد»: (١٨٧/٩) و«لسان الميزان»: (١٣/٣) و«وفيات الأعيان»: (٢٠٠/١).
(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٣٣/٨٩/١) و(٢٦٨٢/٢٨٩/٥) و(٢٧٤٩/٣٧٥/٥) و(٦٠٩٥/٥٠٧/١٠) ومسلم في «الصحيح»: (٥٩/٧٨/١).
(٥) انظر في ترجمته: «وفيات الأعيان»: (٢١٠/١) و«طبقات ابن سعد»: (٢٥٧/٦) و«تاريخ بغداد»: (١٥١/٩).
(٦) لاح البرق: أو مضى (هـ).
(٧) أي: انطفأ، وخففت الهمزة للضرورة الشعرية (هـ).

[صُحبة الوَقورِ]

ومِنْها صُحْبَةُ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ ليَزْجُرَهُ ذلك عن المخالفاتِ؛ فقد قالَ عليٌّ كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ: (أَحيُوا الحياءَ بمُجالسةِ مَنْ يُسْتَحْيَا مِنهُ). وقالَ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمَهُ اللَّهُ: (ما أَوْقَعني في بَليَّةٍ إلاّ صُحبةُ مَنْ لا أَحْتَشِمَهُ).

[الإخلاصُ في الصُّحبةِ]

ومنها أنْ يُراعيَ في صُحبةِ إخوانِهِ صلاحَهُمْ لا مُرادَهُمْ[1]، ودلالَته على رُشْدِهِمْ لا على ما يحبُّونَهُ. قال أبو صالحٍ المِزِّيَّ، رحمهُ اللَّهُ: (المؤمنُ مَنْ يُعاشِرُكَ بالمعروف، ويَدلُّكَ على صلاحِ دينكَ ودُنياكَ، والمُنافِقُ [مَنْ] يعاشِرُكَ بالمماذعةِ[2]، ويدلُّكَ على ما تَشْتَهيهِ، والمعصومُ مَنْ فرَّقَ بينَ الحالينِ).

[تَرْكُ الأَذَى]

ومِنْها ألاّ تُؤذيَ مُؤْمِناً، ولا تُجاهِلَ[3] جاهِلاً؛ لقولِهِ عليه السَّلامُ: (إنَّ اللَّهَ يكرهُ أذَى المؤمنِ»[4]. وقالَ الرَّبيعُ ابنُ خيثمٍ رحَمهُ اللَّهُ: (النَّاسُ رجلانِ، مؤمنٌ فلا تُؤذِهِ، وجاهلٌ فلا تُجاهِلْهُ).

[حُسْنُ العِشْرةِ]

ومِنها مُطالبةُ الإخوانِ بحُسْنِ العِشْرةِ حَسْبَ ما يُعاشِرُهُمْ بِهِ؛ لقولِهِ

---

(1) انظر: ـ غير مأمور ـ «روضة العقلاء»: (ص ٨٧).

(2) المذّاع: الكذّاب، والذي لا يكتم السِّرَ أيضاً، قاله ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»: (٣٠٩/٥) مادة (مذع).

(3) جاهله، أي: سافهه (هـ).

(4) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (٦٩٢) وأبو يعلى والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٠٧) كما في «المجمع»: (٦٤/٨)، وإسناده ضعيف.

عليهِ السَّلامُ: «لا يُؤمنُ عبدٌ حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يُحبُّ لنفسِهِ»[1]. قال الحكيمُ: (صَفْوَةُ العشرةِ للخَلْقِ، رِضاكَ عنهمْ بِمِثْلِ ما تُعاشِرُهُمْ بِه). وقَال أبو بكرٍ بنُ عيَّاشٍ رحمَهُ اللَّهُ: (اطلبِ الفضلَ بالإفضالِ مِنكَ، فإنَّ الصنيعة[2] إليكَ كالصَّنيعةِ مِنْكَ).

[رأيُ عُمرَ في المودَّةِ]

ومِنها قولُ عُمرَ بنِ الخطّابِ رَضيَ اللَّهُ عنهُ: (ثلاثٌ يُصفينَ لكَ وُدَّ أَخيكَ: أَنْ تُسَلِّمَ عليهِ إذا لقيتَهُ، وتُوسعَ لهُ في المجلسِ، وتدعوَهُ بأحبِّ أَسمائِهِ إليهِ)[3].

[حُسنُ الظنِّ]

ومِنها حَمْلُ كلامِ الإخوانِ على أَحْسَنِ الوُجوهِ ما وَجَدْتَ ذلك. قالَ سعيدُ بنُ المُسَيِّبِ[4] رَضيَ اللَّهُ عَنهُ: (كَتَبَ إليَّ بعضُ إخواني مِن الصَّحابةِ أَنْ ضَعْ أَمْرَ أخيكَ على الأحسنِ ما لم تغلب).

[معرفةُ أَسماءِ الإخوان وأَنسابِهِم]

ومِنها معرفةُ اسمِ الإخوانِ واسمِ آبائِهِمْ لئلا تُقصِّرَ في حُقوقِهِمْ؛ فقد قالَ ابنُ عُمرَ رَضيَ اللَّهُ عنهما: رآني النبيُّ ﷺ أَلْتَفِتُ، فقال: «إلامَ تَلْتَفِتُ؟» قلتُ: إلى أخٍ لي أنا في انتظارِهِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إذا

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١/٥٦، ٥٧/ ١٣) ومسلم في «الصحيح»: (١/٦٧، ٦٨/٤٥) وغيرهما.

(٢) الصنيعة والصنيع: الإحسان (هـ).

(٣) عزاه لأمير المؤمنين عمر: المبرد في «الكامل»: (١/٦٤) (هـ) وأخرجه عنه السلمي في «آداب الصحبة»: (٤٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» كما في «كنز العمال» رقم (٢٤٧٨٧) وقد رُفع إلى النبي ﷺ ولم يصح ذلك.

(٤) انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد»: (٥/٨٨) و«الحلية»: (٢/١٦١) و«الوفيات»: (١/٢٠٦).

أحببتَ رجلاً فسَلْهُ عن اسمِهِ، واسمِ أبيهِ وجَدِّهِ وعشيرتِهِ ومنزلِهِ، فإنْ مَرِضَ عُدْتَهُ، وإنْ استعانَ بكَ أَعَنتَهُ»[1].

[مجانبةُ الحقدِ]

ومنها مُجانبةُ الحِقْدِ، ولزومُ الصَّفحِ، والعفوُ عن الإخوانِ. قال هلالُ بنُ العلاءِ: (جَعَلْتُ على نفسي ألَّا أكافىء أحداً بِشَرٍّ ولا عُقوقٍ اقتداءً بهذهِ الأبياتِ:

لمّا عَفَوْتُ ولم أحقِدْ على أحدٍ ... أَرَحْتُ نفسيَ مِنْ غَمّ العداواتِ
إنّي أُحيّي عدوّي حينَ رؤيتِهِ ... لأدفَعَ الشَّرَّ عَنّي بالتَّحيَّاتِ
وأُظهِرُ البِشْرَ للإنْسانِ أُبْغِضُهُ ... كأنَّهُ قد حُشي[2] قلبي مَسرَّاتِ[3]

وأنشَدَ أحمدُ بنُ عبيدٍ عن المدائني[4]:

وَمَنْ لم يُغمِّضْ عَينَهُ عن صديقِهِ ... وعن بعضِ ما فيهِ يَمُتْ وهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يتتبَّعْ جاهداً كلَّ عَثْرةٍ ... يَجِدْها ولا يَسْلَمْ له الدَّهرَ صَاحِبُ

---

(1) أخرجه هناد في «الزهد»: (١/٢٧٥، ٢٧٦/٤٨٦) والترمذي في «الجامع»: (٤/٥٩٩/٢٣٩٢) و«العلل المفرد»: (٢/٨٣٢، ٨٣٣/٣٦٣) وابن سعد في «الطبقات الكبرى»: (٦/٦٥) وابن أبي شيبة كما في «الإصابة»: (٣/٣٦٣) كلهم من حديث يزيد بن نعامة. وقال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، ولا نعرف ليزيد بن نعامة سماعاً من النبي ﷺ، ويروى عن ابن عمر عن النبي ﷺ نحو هذا، ولا يصح إسناده». قلت: أخرج حديث ابن عمر: البيهقي في «الشعب» كما في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٢/١٧٦) و«تحفة الأحوذي»: (٧/٧٣) والسلمي في «آداب الصحبة»: (٤٤) والطبراني في «الكبير» (١٣٢٣٧) وفي إسناده متروك، كما في «فيض القدير» (١/٢٣٦) فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(2) سكنت الياء، للضرورة الشعرية، لئلا يختلّ وزن البيت، ومرات هنا منصوبة بنزع الخافض (هـ).

(3) القائل هو: هلال بن العلاء، كما في «بداية الهداية» للغزالي (ص ٢٦٣).

(4) انظر ترجمته في: «تاريخ بغداد»: (١٢/٥٤) و«إرشاد الأريب»: (٥/٣٠٩).

[حفظُ العهدِ]

ومِنْها ملازمةُ الأُخوَّةِ، والمُداومةُ عليها، وتركُ المَلَلِ؛ فقد قال النبيُّ ﷺ: «أحبُّ الأعمالِ إلى اللَّهِ أَدومُها، وإنْ قَلَّ»[1]. وقال محمَّدُ بنُ واسع[2]: (وليس لملولٍ صديقٌ ولا لِحاسدٍ غَناءٌ).

[إقلالُ العِتابِ]

ومِنْها الإغْضاءُ عن الصَّديقِ في بعضِ المكارِهِ، ويُنشَدُ:

صَبَرْتُ على بعضِ الأذَى خوفَ كُلِّه ... ودافَعْتُ عن نفسي بنفسي فَعَزَّتِ
فيا رُبَّ عزّ ساقَ للنَّفسِ ذُلَّها ... ويا رُبَّ نفسٍ بالتَّذلُّلِ عَزَّتِ
وجَرَّعتُها المكروهَ حتى تَجَرَّعَتْ ... ولو لم أُجرِّعْها كذا لاشْمأزَّتِ[*]

وأَنْشَدَ ثَعْلبٌ:

أُغمِّضُ عَيْني عَنْ صَديقي تَجَشُّماً ... كأنِّي بِما يأتي مِن الأمرِ جاهِلُ
وما بيَ جَهْلٌ غيرَ أنَّ خليقتي ... تُطيقُ احتمالَ الكُرْهِ فيما تُحاولُ

ولبعضِهِمْ:

إذا كُنْتَ في كلِّ الأمورِ معاتباً ... صديقَكَ لم تَلْقَ الذي لا تعاتِبُهْ
فَعِشْ واحداً أو صِلْ أخاكَ فإنَّهُ ... مُقارفُ ذنبٍ مرَّةً ومُجانِبُهْ
إذا أنت لَم تَشْرَبْ مِراراً على القَذَى ... ظَمِئْتَ وأَيُّ النَّاسِ تصفو مشاربُهْ[3]

[تركُ الاستخفافِ]

ومِنها تركُ الاستخفافِ بأحدٍ مِن الخَلْقِ، ومعرفةُ كلِّ واحدٍ مِنْهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٣١٤/٥٨٦١) و(١١/٢٩٤/٦٤٦٥) ومسلم في «الصحيح»: (١/٥٤٠/٧٨٢).
(٢) انظر ترجمته في: «التهذيب»: (٩/٤٩٩) و«الأعلام»: (٧/١٣٣).
(٣) القائل هو الشاعر بشار بن برد كافي «الأغاني»: (٣/١٩١).
(*) القائل هو عبدالحميد بن عبدالرحمٰن القاضي، كما في «آداب الصحبة» للسلمي (٤٩).

ليُكْرَمَ على قَدْرِهِ. قالَ ابنُ المباركِ[1]: (مَنِ استخفَّ بالعُلماءِ ذَهَبَتْ آخرتُهُ[2]، ومَنْ استخفَّ بالأُمراءِ ذَهَبَتْ دنياهُ، ومَنْ استخفَّ بالإخوانِ ذَهَبَتْ مُروءتُهُ).

[ملازمةُ الصَّديقِ]

ومنها أَلّا تَقْطَعَ صديقاً بعد مُصادقتِهِ، ولا تَرُدَّه بعدَ قبُولٍ:

لا تمدحَنَّ امرأً حتى تُجرِّبَهُ ... ولا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غيرِ تجريبِ
فإنَّ حَمْدَكَ مَنْ لم تَبْلُهُ سَرَفٌ ... وإنَّ ذَمَّكَ بَعْدَ الحَمْدِ تكذيبُ

قالَ حمدونُ القصّارُ: (اقْبَلوا إخوانَكمْ بالإيمانِ، ورُدُّوهمْ بالكُفْرِ؛ فإنَّ اللَّهَ سبحانَهُ وتعالى أوقعَ ما بينَ هذينِ في مشيئتِهِ، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3] الآيةُ).

[قُدسيّةُ الصداقةِ]

ومِنها أَلّا يُضيعَ صداقةَ صديقٍ بعدَ وُدٍّ، فإنَّها عزيزةٌ[4]؛ وكَتَبَ عالمٌ إلى مَنْ هو مثلُهُ: (أَنِ اكْتُبْ لي بشيءٍ ينفعُني في عُمْري)، فكَتَبَ إليهِ: (بسم اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ. استوحشَ مَنْ لا إخوانَ لهُ، وفَرَّطَ المُقصِّرُ في طلبِهِمْ؛ وأَشدُّ تَفْريطاً مَنْ ظَفِرَ بواحدٍ مِنْهُمْ فضيَّعَهُ؛ ولَوَجَدَ أَنَّ الكبريتَ

---

(١) انظر ترجمته في: «تذكرة الحفاظ»: (١/٢٥٣) و«تاريخ بغداد»: (١٠/١٥٢).

(٢) انظر: في كفر من استهزأ بالعلماء في «شرح الفقه الأكبر» لعلي القاري (ص ٢٦٠) وكلام سيدنا ابن المبارك في جزاء مَنْ استخفّ بالمذكورين، وبيّن الفضيل بن عياض الآثار المترتبة على فسادهم، فقال: «الناس ثلاثة: العلماء والأمراء والفقراء، فإذا فسد الأمراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق» أخرجه أبو نعيم في «فضل العادلين»: (ص ٧٨، مع تخريجه للسخاوي، بتحقيقنا)، اللهم حنانيك وعفوك!.

(٣) سورة النساء: آية ٤٨ و ١١٦.

(٤) انظر- غير مأمور-: «روضة العقلاء»: (١٠٣).

الأحمر[1] أيسرُ مِنْ وِجْدانِهِ؛ وإنِّي أطلبُهُ منذُ خمسينَ سَنَةً، ولم أجدْ إلا نِصْفَ صديقٍ).

والناسُ ثلاثةٌ: معرفةٌ، وأَصدقاءُ، وإخوانٌ؛ فالمعرفةُ بينَ النّاسِ كثيرةٌ، والأَصدقاءُ عزيزةٌ، والأخُ قلّما يُوجدُ.

[التواضعُ والتَّكبُّرُ]

ومنْها التَّواضعُ للإخوانِ، وتركُ التكبُّرِ عليهمْ[2]. قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أَوْحَى إليَّ أَنْ تواضَعْ حتى لا يفخرَ أحدٌ على أحدٍ»[3]. وقالَ المُبرّدُ: (النِّعمةُ التي لا يُحسَدُ صاحبُها عليها التواضعُ، والبلاءُ الذي لا يُرْحَمُ صاحبُهُ العُجْبُ).

[جوامعُ العِشْرةِ]

ومِنْ جوامِعِها قولُ ابنِ الحَسَنِ الوَرَّاقِ، وقد سَألَ أَبَا عُثْمانَ عن الصُّحبةِ، قال: (هِيَ مَعَ اللَّهِ بالأَدبِ، ومَعَ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ بمُلازَمَةِ العلمِ واتِّباعِ السُّنَّةِ، ومعَ الأَولياءِ بالاحترامِ والخِدْمةِ، ومَعَ الإخوانِ بالبِشْرِ والانبِساطِ وتَرْكِ وُجوهِ الإنكارِ عليهِمْ، ما لم يكنْ خَرْقَ شريعةٍ أو هتكَ حُرمةٍ، قالَ اللَّهُ تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[4] الآيةُ، والصُّحبةُ مع

---

(١) الكبريت الأحمر: هو الحجارة الموقد بها، قال ابن دريد: لا أحسبه عربيّاً أصيلًا، ويضرب به المثل لندرَتِهِ.

(٢) انظر ـ غير مأمور ـ: «روضة العقلاء»: (٦١، ٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (١٥٣) ومسلم في «الصحيح»: (٤/٢١٩٨/٢٨٦٥) وأبو داود في «السنن»: (٤/٢٧٤/٤٨٩٥) وابن ماجه في «السنن»: (٢/١٣٩٩/٤١٧٩).

(٤) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

الجُهَّالِ بالنَّظرِ إليهِمْ بعينِ الرَّحمةِ، ورؤيةِ نعمةِ اللَّهِ عليكَ إذْ لم يَجعَلْكَ مثلَهُمْ، والدُّعاءِ للَّهِ أنْ يُعافِيَكَ مِنْ بلاءِ الجَهْلِ).

[حِفظُ المودَّةِ والأُخُوَّةِ]

ومِنْها حِفظُ المَوَدَّةِ القديمةِ والأُخوَّةِ الثَّابتةِ، لِقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «إنَّ اللَّهَ يُحبُّ حفظَ الوُدِّ القديمِ»[1]؛ ودخلتْ امرأةٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فأدناها، فقيلَ لَهُ في ذلكَ، فقالَ: «إنَّها كانتْ تأتينا أيامَ خديجةَ، وإنَّ حُسْنَ العهدِ مِن الإيمانِ»[2]؛ وقالَ مُحمَّدٌ المُغازليُّ رحمَهُ اللَّهُ: (مَنْ أحبَّ أنْ تَدومَ لهُ المودَّةُ، فلْيَحْفَظْ مودَّةَ إخوانِهِ القُدماءِ). ولبعضِهِمْ:

مَا ذاقتِ النَّفسُ على شهوةٍ ... ألذَّ مِنْ حبِّ صديقٍ أمينْ
مَنْ فَاتَهُ وُدُّ أخٍ صالحٍ ... فذلكَ المغبونُ حقَّ اليقينْ

ولبعضِ الحكماءِ مِنَ السَّلَفِ: (عاشِرُوا النَّاسَ، فإنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إليكم، وإنْ مِتُّمْ بكَوا عليكمْ).

[صُحْبَةُ السَّلامةِ]

ومِنْها قولُ أبي عُثْمانَ الحِيْريِّ، وقد سُئلَ عن صُحْبةِ السَّلامةِ: (أنْ يُوسِّعَ الأَخُ على أخيهِ مِنْ مالِهِ، ولا يَطمَع فيما لَهُ، ويُنصفَهُ، ولا يطلُبَ الإنصافَ مِنْهُ، ويستكثرَ قليلَ بِرِّهِ، ويستصغرَ منَّ مَنَّا بهِ عليهِ).

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل»: (١٥٠٦/٤) في ترجمة (عبدالله بن إبراهيم بن أبي عمرو الغفاري» وقال فيه: «وعامّة ما يرويه لا يتابعه الثّقاتُ عليه». فهو ضعيف جداً.

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (١٥/١، ١٦) والبيهقي في «الشعب» وابن عبدالبر والعسكري في «الأمثال» كما في «كشف الخفاء»: (٤٣١/١) والسلمي في «آداب الصحبة»: (٦٢) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٩٧٢/١٠٢/٢) من ثلاثة طرق عن عائشة، وفي بعضها ضعف، كما في «فتح الباري»: (٤٣٦/١٠)، ولكنه يصل بمجموع طرقها إلى درجة الحسن.

[الإيثارُ والإكرام]

ومنّها إيثارُ الإخوانِ بالكرامةِ على نفسِهِ. قالَ أبو عُثْمانَ: (مَنْ عاشَرَ الناسَ، ولم يُكرِمْهُمْ، وتكبَّرَ عليهمْ، فذلك لِقِلَّةِ رأيِهِ وعقلِهِ؛ فإنَّهُ يُعادي صديقَه، ويُكرِمُ عدوَّهُ، فإنَّ إخوانَهُ في اللَّهِ أصدقاؤُهُ، ونفسَهُ عدوَّهُ). وروِيَ عن النبي ﷺ أنَّهُ قال: «أعدَى عدوِّكَ نَفْسُكَ التي بينَ جَنْبَيْكَ»[1]. وقالَ القاسمُ بنُ مُحمَّدٍ: (قد جَعَلَ اللَّهُ في الصَّديقِ البارِّ عِوضاً مِن الرَّحِمِ المُدبِرِ)[2].

[حقوقُ الفقراءِ]

ومِنْها معرفةُ حُقوقُ الفُقراءِ، والقِيامُ بحوائِجِهِمْ وأسبابِهِمْ[3]. قالَ ابنُ أبي أوفى: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يَأْنَفُ ولا يَسْتَكْبِرُ، أنْ يَمشيَ مَعَ الأرمَلةِ والمِسْكِينِ، فَيَقضيَ حاجتَهُما»[4].

[حُسْنُ العِشْرةِ]

ومنْها ملازمةُ الأدبِ مَعَ الإخوانِ وحسنُ معاشرتِهِمْ؛ فقد قالَ الجُنيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ، إذْ سُئلَ عن الأدبِ: (إنَّهُ حُسْنُ العِشْرَةِ). والفَرْقُ بينَ عِشْرَةِ العلماءِ والجُهَّالِ قولُ يَحْيَى بنِ مُعاذٍ الرّازيِّ: (إنَّ العُلماءَ عَبَدُوا اللَّهَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الزهد»: (٣٤٥)، وفيه محمد بن عبدالرحمٰن بن غزوان أحد الوضّاعين، قاله العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٣/٤).
وانظر: «إتحاف السادة المتقين»: (٢٠٦/٧) و«كشف الخفاء»: (٤١٢/١٦٠/١) و«السلسلة الضعيفة» رقم (١١٦٤).

(٢) المُدبر: يقال: أدبر الرجل: إذا تغافل عن حاجة صديقه، ويقال: رجل أُدابر - بالضم - قاطع رحمه، ولا يقبل قول أحد، والتّدابر أيضاً: المصارمة والهجران (هـ).

(٣) أي: أسباب رزقهم (هـ).

(٤) أخرجه النسائي في «المجتبى»: (١٠٩/٣) والدّارمي في «السنن»: (٣٥/١) بإسنادٍ صحيح.

بقلوبِهِمْ، والنّاسَ عبدُوهُ بأبدانِهِمْ، والجُهَّالَ عَبدُوهُ بـألْسِنَتِهِمْ، وهُمْ عَبَدُوهُ بقلوبِهِمْ وأبدانِهِمْ وألسنتِهِمْ).

[حِفظُ الأسرارِ]

ومِنهـا حفظُ أسرارِ الإخـوانِ، فقد قـالَ النبيُّ ﷺ: «استعينـوا على حوائِجِكـمْ بالكِتمانِ، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٍ»[1]. وقالَ بعضُ الحكماءِ: (قلوبُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ). وقيل: (أفشَى رجلٌ لصديقٍ[1] لهُ سِرّاً مِنْ أسرارِهِ، فلمّا فَرِغَ قالَ لهُ: حَفِظْتَهُ؟ قالَ: لا، بل نَسيتُهُ).

ولبعضِهِمْ:

ليس الكريمُ الذي إنْ زلَّ صاحبُهُ ... بثَّ الـذي كانَ مِنْ أسـرارِهِ عَلِمـا
إنَّ الكـريمَ الـذي تبقىٰ مـودَّتُـهُ ... ويَحْفَظُ السِّرَّ إنْ صافَى وإنْ صَرمَا

[قبولُ المَشُورةِ]

ومِنهـا المَشُورَةُ مَـعَ الإخـوانِ وقبـولُهـا مِنْهُمْ. قـالَ اللَّهُ عـزَّ وجـلَّ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2]. قـالَ ابنُ عبَّاس: لمـا نزلتْ هـذهِ الآيةُ قـالَ

---

(١) أخرجه السهمي في «تاريخ جرجان»: (ص ٢٢٣) وابن حبان في «روضة العقلاء»: (ص ١٨٧) من حديث أبي هريرة، وقال ابن حبان عقبه: «هذا إسناد حسن وطريقٌ غريب، إنْ كان عروةُ هذا هو ابن الزّبير بن العوام، وسعيد بن سلام ما أرى حفظ حديثه، فلذلك تنكبت عن ذكره».
قلت: للحديث شواهد يتقوى بها، منها: حديث معاذ بن جبل، أخرجه: الطبراني في «الصغيـر»: (١٤٩/٢) و«الكبيـر»: (١٨٣/٢٠) والعقيلي في «الضعفـاء»: (١٠٩/٢) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٤١٠/١ ـ ٤١٤/٧٠٧، ٧٠٨) وأبو نعيم في «الحلية»: (٢١٥/٥) و(٩٦/٦) والبيهقي في «الشعب» والروياني في «المسنـد» والخليعي في «الفوائـد» والكـلابـاذي في «مفتـاح المعـاني» كمـا في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٥٣).

(٢) سورة آل عمران: آية (١٥٩).

رسولُ اللَّهِ ﷺ: «[إنَّ اللَّهَ ورسوله][1] غنيَّان عنْها، ولكنْ جَعَلَهَا اللَّهُ رحمةً لأُمَّتي، فمَنْ شاوَرَ مِنْهُمْ لم يَعْدَمْ رُشْداً، ومَنْ تَرَكَ المَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يَعْدَمْ غَيّاً»[2].

[إيثارُ الأصحابِ]

ومِنْها إيثارُ الأرفاقِ[3] على الإخوان. قال اللَّهُ تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4] الآية. وقيلَ سُعيَ إلى بعضِ الخلفاءِ بالصُّوفيَّةِ[5] أنَّهُمْ يرفضُونَ الشَّريعةَ، فأخَذَ مِنْهُمُ طائفةً، مِنْهُمْ أبو الحُسين النُّوريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ، فأَمَرَ بضَرْبِ أعناقِهِمْ، قالَ: فبادَرَ أبو الحسينِ إلى السيَّافِ، فقالَ لهُ السَّيَّافُ: ما لكَ بادَرْتَ دونَ أصحابِكَ؟ فقالَ: أَرَدْتُ إيثارَ أَصحابي بحياةِ هذهِ اللَّحظَةِ، فكانَ ذلك سبب نجاتِهِمْ.

[التَّخَلُّقُ بمكارم الأخلاقِ]

ومِنْها التَّخلُّقُ بمحاسنِ الأخلاقِ. قال أبو مُحمَّدٍ الحريريُّ: (كمالُ الرَّجلِ في ثلاثةٍ: الغُربةُ، والصُّحبةُ، والفِطنةُ؛ فالغُربةُ لتذليلِ النَّفسِ، والصُّحبةُ للتَّخلُّقِ بأخلاقِ الرِّجالِ، والفِطنَةُ للتَّمكينِ).

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المطبوع.

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل»: (٤/١٦٤٤) في «ترجمة عباد بن كثير بن قيس الرملي، وقال فيه وغيره من الأحاديث: «وهذه الأحاديث التي ذكرتُها لعبّاد الرّملي هذا، غير محفوظة، وهو خير من عباد البصري». وأخرجه السلمي في «آداب الصحبة» (٧٧) وفيه عباد أيضاً.

(٣) الأرفاق: الأصدقاء، وتجمع علي رِفاق ورَفِق ورُفُق وأَرْفَاق.

(٤) سورة الحشر: آية ٩.

(٥) انظر: رسالتنا «القرطبي والتصوف» فقد ذكر فيها حقائقَ ومعلوماتٍ مهمّةً عن صوفية عصره، فما بالك بصوفية عصرنا!! نسأل الله العافية والسلامة.

[مُوافقةُ الإخوانِ]

ومِنْها قِلَّةُ مُخالفةِ الإخوانِ في أسبابِ الدُّنيا، لأنَّها أقلُّ خَطَراً مِنْ أنْ يُخالِفَ فيها أخٌ مِنَ الأخوانِ. قالَ يحيى بنُ معاذٍ الرَّازيُّ: (الدُّنيا بأجمعِها لا تساوي غمَّ ساعةٍ، فكيفَ بغَمٍّ طُولَ عمرِكَ وقطعِ إخوانِكَ بسببِها، مَعَ قِلَّةَ نصيبكَ منها!!).

[الصُحبةُ والوفاءُ]

ومِنْها أنْ تُصاحِبَ الإخوانَ على الوفاءِ والدِّينِ، دونَ الرَّغبةِ والرَّهبةِ والطمعِ. قالَ الحريريُّ: (تعامَلَ القرنُ الأوَّلُ فيما بينَهمْ بالدِّينِ زماناً طويلاً حتى رقَّ الدِّينُ، ثم تعاملَ القرنُ الثَّاني بالوفاءِ حتى ذَهَبَ الوفاءُ، ثم تعاملَ القرنُ الثالثُ بالمُرُوءةِ حتى ذهَبَتِ المُروءةُ، ثم تَعَامَلَ القَرنُ الرَّابعُ بالحياءِ حتى ذهبَ الحياءُ، ثم صارَ النّاسُ يَتَعاملونَ بالرَّغبةِ والرَّهبةِ). قال الشيخُ[1]: وكنتُ أستحسنُها لهُ حتى رأيتُ مثلَها للشَّعبيِّ، وأظنُّهُ زادَ، وسيأتي ما هو أشدُّ.

[تركُ المُداهنةِ]

ومِنْها تركُ المُداهنةِ[2] في الدِّينِ مَعَ مَنْ يُعاشرُهُ. قالَ سهلُ بنُ عبدِاللَّهِ التُّستَرِيُّ: (لا يَشُمُّ رائحةَ الصِّدقِ مَنْ داهَنَ نَفْسَهُ أو غيرَهُ)[3].

[تحرّي الموافقة]

ومِنْها قِلَّةُ الخِلافِ على الإخوانِ، وتحرِّي مُوافَقَتِهِمْ فيما يُريدونَ في

---

(١) أي: المصنّف رحمه الله تعالى.

(٢) المداهنة والإدمان: المصانعة واللين. وانظر: «معجم مقاييس اللغة»: (٢/٣٠٨).

(٣) ذكر النووي في مقدمة «شرح المهذب»: (١/١٣) عن إمامنا الشافعي رحمه الله تعالى: «ليس بأخيك مَنْ احتجت إلى مداراته». وانظر- غير مأمور-: «روضة العقلاء»: (ص ٧٠ وما بعدها).

غيرِ مُخالفةِ الدِّينِ والسُّنَّةِ؛ قالتَ جُوَيْرِيَّةُ: (دعوتُ اللَّهَ أربعينَ سَنَةً أنْ يَعْصِمَني مِنْ مُخالفةِ الإخوانِ).

[الذَّبُّ عن الإخوانِ]

ومِنْها القيامُ بأعذارِهِمْ، والذَّبُّ عنهمْ، والانْتصابُ لَهُمْ، كما قالَ الجُنَيدُ رَحمَهُ اللَّهُ، وقيلَ لهُ: (ما بالُ أصحابِكَ أكلُهُمْ كثيرٌ؟ قالَ: لأنَّهمْ لا يشربونَ الخَمْرَ، فيكونُ جوعُهُمْ أكثرَ؛ وقيلَ لهُ: ما بالُهمْ لَهُمْ قوَّةُ شهوةٍ؟ قالَ: لأنَّهمْ لا يزنونَ، ولا يدخلونَ تحتَ محظورٍ؛ قيلَ: فما بالُهمْ لا يَطْرَبونَ إذا سَمِعُوا القُرآنَ؟ قال: لأنَّهُ كلامُ الحَقِّ، ما فيهِ ما يُوجِبُ الطَّرَبَ، نَزَلَ بأمرٍ ونهيٍ، ووَعْدٍ ووَعيدٍ، فهو يَقْهَرُ؛ قيلَ: فما بالُهُمْ لا يَطربونَ عندَ القصائدِ؟ قالَ: لأنَّها ممّا عَمَلَتْ أيديهمْ؛ قيلَ: فما بالُهُمْ يطربونَ عند الرُّباعياتِ؟[1] قالَ: لإنَّها كلامُ المحبِّين والعُشّاقِ؛ قيلَ: فما بالُهُمْ محرومينَ مِنَ النَّاس؟ قال: قد قالَ أُستاذُنا القصَّارُ، إذْ سُئِلَ عن ذلكَ: لِخلالٍ ثلاثٍ، أحدُها: أنَّ اللَّهَ لا يرضَى ما لَهُمْ لَهُمْ، والثّانيةُ: أنَّهُ تعالى لم يرضَ حسناتِهِمْ بصحائفِ النّاسِ، والثّالِثةُ: أنَّهُمْ قومٌ لم يَسيروا إلّا إلى اللَّهِ، فَمَنَحَهُمْ كُلَّ ما سواهُ، وأَفْرَدَهُمْ لهُ).

[احتمالُ الأذَى]

ومِنْها احْتِمالُ الأذَى، وقلَّةُ الغَضَبِ، والشَّفَقَةُ، والبَسْطُ، والرَّحمةُ، لقولِ النَّبيِّ ﷺ للرَّجلِ إذْ قالَ لَهُ: عِظْني، وأَوْجَز، قالَ: «لا تغضبْ»[2].

---

(١) الرّباعيات: هو فَنّ الدّوبيت، أحد الأبحر المعروفة في عصر الدول المتتابعة، أخذه المحْدَثُون مِنَ الفُرْس (هـ).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٥١٩/٦١١٦) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣٧١/٢٠٢٠) وأحمد في «المسند»: (٢/٤٦٦) من حديث أبي هريرة، وفي الباب: عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، ووقع التصريح باسمه في بعض الروايات بجارية بن قدامة.

وقولُهُ: «مِنْ مُوجِباتِ المغفرةِ طيبُ الكلامِ»[1] وقولُهُ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ»[2].

[الانبساطُ في النفسِ والمالِ]

ومِنْها الانبساط[3] لإخوانِهِ في النَّفسِ والمالِ، وألَّا يَرَى بينَهُ وبينَهُمْ فَرْقاً، لِما رُويَ عن النبي ﷺ: «أنَّهُ كانَ يَنْبَسِطُ في مالِ أبي بكرٍ[4] رضيَ اللَّهُ عنه، ويَحكُمُ فيهِ كانبساطِهِ في مالِهِ وحكمِهِ».

[مجانبةُ الخصالِ الذميمةِ]

ومِنْها مُجانَبَةُ التَّباغُضِ والتَّدابُرِ والتَّحاسُدِ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «لا تَباغضُوا، ولا تحاسدُوا ولا تَدابرُوا، وكونوا عبادَ اللَّهِ إخواناً»[5]. فأَمَرَهُمْ بإسقاطِ ذلكَ في حقِّ الأُخوَّة، ونَزَّهَها عن هذهِ الخِصالِ الذَّميمةِ.

[بغضُ الدُّنيا]

ومِنْها التآلُفُ مَعَ الإخوانِ على بغضِ الدُّنيا، فإنَّهُ لا يقعُ بينَهم المُخالفةُ إلَّا بِسَببها. وقال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «المؤمنُ مألوفٌ، ولا خيرَ فيمَنْ لا يألفُ ولا يُؤْلَفُ»[6].

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٢٢/٤٦٩) والخرائطي في «مكارم الأخلاق»: (٢٣) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٢/١٨٠، ١٨١/١١٤٠) بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٣/٣٥٨/٧٣٧٦) و«الأدب المفرد» رقم (٣٥، ١٠١، ١٠٢) ومسلم في «الصحيح»: (٤/١٨٠٩/٢٣١٩) والحميدي في «المسند»: (٢/٣٥١، ٣٥٢) والطيالسي في «المسند»: (٤١٢ ـ المنحة) وغيرهم كثير.

(٣) بسط فلان يده: أي مدّها، يقال: أبسط الشيء: امتدّ وطال (هـ).

(٤) انظر ذلك في: «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٧١٨).

(٥) مضى تخريجه. (ص: ٢٢).

(٦) أخرجه أحمد في «المسند»: (٥/٣٣٥) والطبراني في «الكبير»: (٦/١٦١/٥٧٤٤)=

[عِشرة الأهلِ والنسوانِ]

ومِنْها أَدبُ العِشْرةِ مَعَ النِّسوانِ والأهلِ، لأنَّ اللَّهَ خلَقَهُنَّ ناقصاتِ عقلٍ ودِينٍ، فيُعاشِرُهُنَّ بالمعروفِ على حَسَبِ ما جَبَلَهُنَّ اللَّهُ عليهِ، ولذلك جَعَلَ اللَّهُ سُبحانَهُ شهادةَ امرأتينِ كشَهادةِ رجلٍ واحدٍ. وقالَ عليه السَّلامُ: «ما رأيتُ مِنْ ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أَذهبَ بعقولِ الرجالِ وذوي الألبابِ مِنكنَّ»[1]. الحديث: وقال عليهِ السَّلامُ: «خيرُكُمْ خيرُكُمْ لأهلِهِ»[2]. وقالَ عَليُّ بنُ أَبي طالبٍ كرَّمَ اللَّهُ وَجهَهُ: (عقلُ المرأةِ جمالُها، وجمالُ الرَّجلِ عقلُهُ). وسُئلَ أبو جَعْفرٍ عن قولِهِ تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3]. فقال: (هو حُسْنُ الصُّحبةِ مَعَ مَنْ سألْتَ ومَنْ كَرِهْتَ صُحْبَتَها).

[حسنُ معاشرةِ الخادمِ]

ومِنْها حُسْنُ العِشْرَةِ مَعَ الخادِمِ، لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «هُمْ إخوانُكمْ، جَعَلُهمْ اللَّهُ تعالى تَحتَ أَيديكمْ، فأطعموهُمْ مِمّا تأكلونَ،

= والخطيب في «تاريخ بغداد»: (١١/٣٧٦) وأبو الشيخ في «الأمثال»: (١٧٩) من حديث سهل بن سعد، وفيه مصعب بن ثابت فيه ضعف، كما في «المجمع»: ٨/٨٧) ولكن له شاهداً من حديث أبي هريرة، عند: أحمد في «المسند»: (٢/٤٠٠) والحاكم في «المستدرك»: (١/٢٣) والبيهقي في «السنن»: (١٠/٢٣٦) والخطب في «التاريخ»: (٣/١١٧) وأبو الشيخ في «الأمثال»: (١٨٠) والبزّار كما في «المجمع»: (٨/٨٧) و(١٠/٢٧٣) والعسكري في «الأمثال» كما في «المقاصد الحسنة»: (٤٤٠) وإسناده صحيح.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١/٤٠٥/٣٠٤) و(٣/٣٢٥/١٤٦٢) ومسلم في «الصحيح»: (١/٨٧/٨٠) وغيرهما.

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٥/٧٠٩/٣٨٩٥) والدّارمي في «السنن»: (٢/١٥٩) والبزّار: (٢/١٨٤/١٤٨١ ـ كشف الأستار)، وابن حبان (١٣١٢ ـ موارد) من حديث عائشة، وإسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) سورة النّساء: آية ١٩.

واكسوهُمْ مِمّا تلبَسُونَ، ولا تكلِّفوهُمْ ما لا يُطيقونَ»[1]. وكانَ آخرُ كلامِهِ عليه السَّلامُ وهو مُحتضرٌ: «الصلاةَ وما مَلَكَتْ أيمانُكُمْ»[2]. وقالَ أَنَسٌ رضيَ اللَّهُ عنه: (خَدَمْتُ رسولَ اللَّه ﷺ عَشْرَ سنينَ فما قالَ لشيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَهُ؟ ولا لشيْءٍ لم أَفعلْهُ لِمَ لا فَعَلتَهُ؟)[3]. وقال رجلٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ: (ما حقُّ جاري عَليَّ؟) قال: «تُفْرِشُهُ معروفَكَ، وتُجنِّبُهُ أَذاكَ، وتُجيبُهُ إذا دعاكَ»[4].

[عشرة أهلِ الأسواقِ والتجّارِ]

ومِنْها العِشرةُ مَعَ أهل الأسواقِ والتجار ألاّ تُخْلِفَ وعدَهُمْ وتَعْذِرَهُمْ في خُلْفِ الوعدِ إذْ لا يُمكِنُهمْ الخروجُ مِنْ حقِّكَ إلاَّ في الوقتِ الذي يسَّرَهُ اللَّهُ: وتَعْلَمَ أَنَّ جلوسَكَ على الحانوتِ غايةُ طلبِ الدُّنيا، وتَعذِرَهُمْ في ذلكَ لأجلِ قضاء دَينٍ أو نفقةٍ على عِيالٍ أو أَبوين، فالجلوسُ في الحانوتِ في حقِّكَ نَقْصٌ، وفي حقِّهمْ عُذْرٌ؛ فإنْ جاءَ أَحدٌ يَشْتَري مِنْكَ شيئاً فاللَّهُ سائقُهُ

---

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١/٨٤/٣٠) و(٥/١٧٣، ١٧٤/٢٥٤٥) و(١٠/٤٦٥/٦٠٥٠) و«الأدب المفرد»: (١٩٠) ومسلم في «الصحيح»: (٤/٢٣٠٣/٣٠٠٧) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣٣٤/١٩٤٥) وأحمد في «المسند»: (٥/٥٨، ١٦١).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند»: (٦/٢٩٠، ٣١١، ٣١٥، ٣٢١) وابن ماجه في «السنن»: (١/٥١٩/١٦٢٥) والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٤/٢٣٥، ٢٣٦) وابن سعد في «الطبقات»: (٢/٢٥٣، ٢٥٤) والبغوي في «شرح السنة»: (٩/٣٤٩، ٣٥٠/٢٤١٥) من حديث أم سلمة، بسند صحيح، على شرط الشيخين، كما البوصيري في «زوائد ابن ماجه»: (١/٥٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٥٦/٦٠٣٨) و(٥/٣٩٥/٢٧٦٨) و(١٢/٢٥٣/٦٩١١) و«الأدب المفرد»: (٢٧٧) وأبو داود في «السنن»: (٤/٢٤٧/٤٧٧٤) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣٦٨/٢٠١٥) و«الشمائل»: (٣٢٨).

(٤) أخرجه السلمي في «آداب الصّحبة»: رقم (٩٩) وفيه عمارة بن جُوين وهو متروك، وفيه محمد بن عبدالله الشيباني متهم بالكذب.

إليكَ لرزقِكَ، فلا تَشُبْ بيعَكَ بِحُلْفٍ، ولا كَذِبٍ، ولا خَنَىً لئلاَّ تُحرَمَ بهذِهِ الأمورِ المحرَّمةِ ما رزقَكَ اللَّهُ حلالا مقدَّراً.

واحْمَدِ اللَّه على رِبْحِكَ، وافْرَحْ برِبْحِ أخيكَ كفَرَحِكَ برِبْحِكَ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «لا يجدُ العبدُ حلاوةَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لنفسِهِ»[1].

وإذا أمسكتَ الميزانَ فاذكُرْ ميزانَ القيامةِ[2]، وما عليكَ مِنَ الحقِّ، واحذرِ التَّطفيفَ، لقولِهِ تعالَى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾[3].

وأنْظِرْ مُعْسِراً عن مالٍ، لقولِهِ تعالى: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[4]؛ فقد جَعَلَ اللَّهُ لهُ أماناً ومُهْلةً.

وأَقِلْ مَنْ استقالَكَ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «مَنْ أَقالَ نادِماً بَيْعَتَهُ أقالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ يومَ القيامةِ»[5].

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٦).

(٢) الصحيح ـ ومذهب أئمة السّلف الصّالح ـ أن الميزانَ الواردَ في الآيات والأحاديث النبويّة حقيقي، وأن حمله على العدل غيرُ جائز، وأن تجسيد الأعمال ووزنها، يجب الجزم به دون تأويل، انظر في ذلك رسالة الشيخ مرعي الكرمي: «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» بتحقيقنا، نشر دار ابن القيم ـ الدمام.

(٣) سورة المطففين: آية ١.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٨٢.

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٣/٢٧٤/٣٤٦٠) وابن ماجه في «السنن»: (٢/٧٤١/٢١٩٩) وأحمد في «المسند»: (٢/١٥٢) والحاكم في «المستدرك»: (٢/٤٥) و«معرفة علوم الحديث»: (ص ١٨) وابن حبان: (١١٠٤ ـ موارد، والبيهقي في «السنن»: (٦/٢٧) والخطيب في «التاريخ»: (٨/١٩٦) وأبو نعيم في «الحلية»: (٦/٣٤٥) وابن حزم في «المحلى»: (٩/٣) والبغوي في «شرح السنة»: (٨/١٦١/٢١١٧) والطبراني في «مكارم الأخلاق»: (٦٠) والقضاعي في «الشهاب»: (٤٥٣، ٤٥٤) وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، والمنذري في «الترغيب»: (٣/٢٠).

وأَرْجِحْ لِمَنْ وزَنْتَ لَهُ، فإنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لوَزَّانٍ وَزَنَ لصاحبِ حقٍّ: «أَرْجِحْ»[1]. وإذا وَزَنْتَ لِنَفْسِكَ فأَنْقِصْ لتَيَقُّنِ وجهِ الحلِّ.

واحذَرِ المَطْلَ مَعَ اليَسَرةِ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «مَطْلُ الغَنيِّ ظُلْمٌ»[2].

ولا تَمْدَحْ سِلْعَتَكَ وتذمَّ سِلْعَةَ أَخيكَ، فهو نِفاقٌ.

والْزَمِ البِرَّ والصِّدْقَ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «التُّجّارُ فُجّارٌ إلَّا مَنْ بَرَّ وَصَدَقَ»[3].

وشُبْ بيعَكَ بشيْءٍ مِنَ الصَّدَقَةِ، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «يا معشرَ التُّجارِ هذه البيوعُ يُخالطُها الحَلِفُ والكَذِبُ، فشُوبوها بشيءٍ مِنَ الصَّدَقةِ»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع»: (٣/٥٩٨/١٣٠٥) والنسائي في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف»: (٤/١٣٥) و«المجتبى»: (٧/٢٨٤) وابن ماجه في «السنن»: (٢/٧٤٨/٢٢٢٠) وأبو داود في «السنن»: (٣/٢٤٥/٣٣٣٦) وأحمد في «المسند»: (٤/٣٥٢) والدّارمي في «السنن»: (٢/٢٦٠) والحاكم في «المستدرك»: (٢/٣٠) و(٤/١٩٢) وابن حبان (٥١٢٥ ـ الإحسان) والبغوي في «شرح السنة»: (١٢/٦/٣٠٧١) وصححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وانظر: «نصب الراية»: (٤/١٣٢) و«تخريج أحاديث الإحياء»: (٢/٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٤/٤٦٤/٢٢٨٧) و(٤/٤٦٦/٢٢٨٨) و(٥/٦١/٢٤٠٠) ومسلم في «الصحيح»: (٣/١١٩٧/١٥٦٤) وغيرهما.

(٣) أخرجه ابن ماجه في «السنن»: (٢/٧٢٦/٢١٤٦) والترمذي في «الجامع»: (٣/٥١٥/١٢١٠) وأحمد في «المسند»: (٣/٤٢٨، ٤٤٤) والحاكم في «المستدرك»: (٢/٦، ٧) والبيهقي في «الآداب»: (١١٠٠) وابن حبان (١٠٩٥ ـ موارد)، والحديث صحيح لا سيما لشواهده.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير»: (٧/١٤٤) وأحمد في «المسند»: (٤/٦، ٢٨٠) والطيالسي في «المسند»: (١/١٣) وأبو داود في «السنن»: (٣/٢٤٢/٣٣٢٦، ٣٣٢٧) والترمذي في «الجامع»: (٣/٥١٤/١٢٠٨) والنسائي في «المجتبى»: (٧/١٤، ١٥، ٢٤٧) وابن ماجه في «السنن»: (٢/٧٢٥، ٧٢٦/٢١٤٥) والحاكم في «المستدرك»: (٢/٥، ٦) وابن الجارود في «المنتقى»: =

واجْعَلْ خُرُوجَكَ للتِّجارةِ لتقضيَ حاجةَ المسلمينَ، فإنَّ رزقَكَ مُقَدَّرٌ بفضلِ اللَّهِ. قال ابنُ المُبارِكِ: وتكونُ نيَّتُكَ مُباركةً عليكَ لقولِهِ عليهِ السلامُ: «نِيَّةُ المؤمنِ خيرٌ مِنْ عملِهِ»[1]. قالَ بعضُ الحكماءِ في معنى الخيرِ: (نيَّةٌ بلا عَمَلٍ خيرٌ مِنْ عملٍ بلا نيَّةٍ).

[العفوُ عن الهفواتِ]

ومِنْها العفوُ عن هَفْوَةِ الإخوانِ في النَّفسِ والمالِ دونَ أُمورِ الدِّينِ والسُّنَّةِ، لقولِهِ تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟﴾[2]. [وقولِهِ][3]: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[4].

[حُسْنُ الجوارِ]

ومِنْها حُسْنُ الجِوارِ، وأَنْ يأمنَكَ جارُكَ في أَسبابِهِ: في نفسِهِ ودينِهِ وأهلِهِ ومالِهِ وولدِهِ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حتى يأمنَ جارُهُ بوائقَهُ»[5]. وقولِهِ عليه السَّلامُ: «ليس بمؤمنٍ مَنْ يَشْبَعُ وجارُهُ إلى جانِبِهِ طاوٍ»[6]. وقولِهِ: «لا تُؤْذِ جارَكَ بقُتارِ قِدْرِكَ». ولا بلسانك أيضاً، ولا

= (٥٥٧) والطبراني في «الكبير»: (١٨/٣٥٤) والبيهقي في «السنن»: (٥/٢٦٥، ٢٦٦) وإسناده صحيح.

(١) مضى تخريجه (ص ٢١).

(٢) سورة النور: آية ٢٢.

(٣) ما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٤) سورة البقرة: آية ٢٣٧.

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٤٣/٦٠١٦) ومسلم في «الصحيح»: (١/٦٩/٧٧) وغيرهما.

(٦) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (١١٢) وهناد في «الزهد»: (٢/٥٠٧) والحاكم في المستدرك»: (٤/١٦٧) وابن أبي شيبة في «الإيمان»: (١٠٠) والخطيب في «تاريخ بغداد»: (١٠/٣٩٢) وعبد بن حميد في «المنتخب»: (٦٩٢) والطبراني وأبو يعلى كما في «المجمع»: (٨/١٦٧) والحديث صحيح لشواهده،=

تَحسُدْهُ في شيءٍ مِنْ أَحوالِهِ وأَفعالِهِ؛ وأَشفِقْ عليهِ وعلى أهلِهِ وولدِهِ كَشَفَقَتِكَ على نفسِكَ وأَهلِكَ؛ واحفظْ مالَهُ كحفظِ مالِكَ.

[طلاقةُ الوَجْهِ]

ومِنْها طلاقَةُ الوَجْهِ والاسْتِرْسالُ[1]، لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «إنَّ اللَّهَ يحبُّ الطَّلْقَ الوجهِ، ولا يحبُّ العَبوسَ»[2]. وقال عليهِ السَّلامُ: «مِنْ أَخلاقِ المُؤمنينَ والصِّدِّيقينَ والشُّهداءِ والصَّالحينَ السِّياسةُ إذا تَزاورُوا، والمُصافحةُ والبِرُّ إذا الْتَقَوا»[3].

= انظرها في «جزء حق الجار» للذهبي (٣٨ ـ ٤٠) و«السلسلة الصحيحة» رقم (١٤٩).

(٧) القُتار: الدُّخان من المطبوخ، رائحة اللحم والشّواء (هـ).

(٨) أخرجه الطبراني في «الكبير» كما في «المجمع»: (١٦٩/٨) والذهبي في «حق الجار»: (٤٧) و(٤٨) والخرائطي في «مكارم الأخلاق»: (ص ٤٧) وأحمد في «الزهد»: (ص ١٩) وأبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» رقم (٢٦) وفيه أبو بكر الهذلي وهو ضعيف، ولهذا قال الذهبي: «سنده واهٍ». وقال ابن حجر في «الفتح»: (٤٤٦/١٠): أسانيده واهية، لكن اختلاف مخارجها يشعر بأن للحديث أصلاً» وانظر: «تخريج أحاديث الإحياء»: (١١٣/٢).

(١) الاسترسال: الاستئناس والطمأنينة إلى الإنسان، والثّقة به فيما يحدّثه وأصل معناه: السّكون والثّبات (هـ).

(٢) أخرج الشطر الأول منه: الشيرازي في «الألقاب» والبيهقي في «الشعب» كما في «الجامع الكبير» (١٤٠٣/٣، ترتيبه: الكنز) والقضاعي في «مسند الشهاب»: (١٥٣/٢، ١٨٠٣/١٥٤) والخرائطي في «مكارم الأخلاق»: (٢٣) والديلمي في «الفردوس»: (١٥٦/١) وسنده ضعيف، قاله العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (١٩٥/٢). وأخرجه بتمامه السلمي في «آداب الصحبة»: (١١٥). وفيه موسى بن محمد الدمياطي متهم بالوضع.
وانظر: «إتحاف السّادة المتقين»: (٢٦١/٦).

(٣) أخرجه الديلمي في «الفردوس»: (٧٩٩/٢١٠/١) وابن لال في «مكارم الأخلاق» كما في «الجامع الكبير»: رقم (٢٤٨/٢٦، مع ترتيبه: الكنز) ونصه: «إن من مكارم أخلاق النبيين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين البشاشة إذا تزاوروا، والمصافحة والترحيب إذا التقوا». وأخرجه السلمي في «آداب الصحبة»: (١١٦) وإسناده ضعيف جداً.

[حُرْمَةُ الإخوانِ]

ومِنْها القيامُ بحُرْمةِ مَنْ هو دونَه مِن الإخوانِ، فكيفَ بِمَنْ هو فوقَهُ أو مِثْلُهُ، لقولِهِ عليه السَّلامُ: «سيِّدُ القوم خادِمُهُمْ»[1]. وقال يحيى بنُ أكثمَ: بِتُّ ليلةً عندَ أميرِ المؤمنينَ المأمونِ، فانْتَبَهْتُ وأنا عطشانُ، فوثَبَ مِنْ مرقدِهِ، فجاءني بماءٍ، فقلْتُ: يا أميرَ المؤمنينَ، ألا دَعَوْتَ بخادم؟ فقالَ: حدَّثني أبي عن أبيهِ عن عُقبَةَ بنِ عامرٍ الجُهَنيّ رضيَ اللَّهُ عَنهُ، قالَ النبيُّ ﷺ: «سيِّدُ القومِ خادمُهُمْ»[2].

[المشاركةُ في السَّرّاءِ والضرَّاءِ]

ومِنْها أَنْ يُشارِكَ إخوانَهُ في المكروهِ والمحبوبِ، لا يَتَلَوَّنُ عليهِمْ في الحالينَ جميعاً.

[تَرْكُ المنِّ]

ومِنْها أَلَّا يَمُنَّ على مَنْ يُحسِنُ إليهِ، ويَشْكُرَ ما يصلُ إليهِ مِنْهُمْ. قالَ عُرْوَةُ: كتبَ رجلٌ إلى عبدِاللَّهِ بنِ جَعْفَرٍ رُقْعَةً، وجَعَلَها، في ثِنْي[3] وسادتِهِ التي يَتَّكىءُ عليها، فَقَلَبَ عبدُاللَّهِ الوِسادةَ، فبَصُرَ بالرُّقعةِ، فَقَرَأها وردَّها إلى مَوْضِعِها، وجَعَلَ مكانَها كيساً، فيهِ خمسُمائةِ دينارٍ، فجاءَ الرَّجلُ، فدخَلَ عليهِ، فقالَ لهُ: قَلَبْتَ النِّمرقَةَ؟[4] فخُذْ ما تحتَها، فأخَذَ الرجلُ الكيسَ،

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس»: (٢/٣٢٤/٣٤٧٣) والخطيب في «التاريخ»: (١٠/١٨٧) والحاكم في «التاريخ» والبيهقي في «الشعب»: كما في «الجامع الكبير»: (١٧٥١٨ ـ مع ترتيبه الكنز) والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (١١٧) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» كما في «المقاصد الحسنة»: رقم (٥٧٩) وسنده ضعيف ومنقطع. وانظر: «فيض القدير»: (٤/١٢٢) و«كنز العمال»: (١٥١٥) و«الدرر المنتشرة»: (٢٥٩).

(٢) انظر: ما قبله.

(٣) أي: في طي وسادته (هـ).

(٤) النِّمرقة: الوسادة الصَّغيرة التي يتّكأ عليها (هـ).

وخَرَجَ وهو يُنْشِدُ:

زادَ معروفَكَ عِنْدي عِظَماً ... أنَّه عِنْدَكَ مَيْسورٌ حَقِيرْ

تَتَناساهُ كأنْ لم تأتِهِ ... وهو عندَ النّاسِ مشهورٌ كَبِيرْ

[الإعراضُ عن الواشي النَّمَّامِ]

ومِنْها أَلَّا يقبلَ على إخوانِهِ قولَ واشٍ نَمَّامٍ، لقولِ الخليلِ بنِ أحمد: (مَنْ نَمَّ لَكَ نَمَّ عليكَ، ومَنْ أَخْبَرَكَ خَبَرَ غيرِكَ أَخبرَهُ بِخبرِكَ)[1]. قال عليهِ السَّلامُ: «لا يدخلُ الجنَّةَ قَتَّاتٌ»[2].

[الوفاءُ في الحياةِ والوفاةِ]

ومِنْها الوفاءُ للإخوانِ في الحياةِ والوفاةِ، لقولِ بعضِ الحكماءِ: (مَنْ لم يَفِ للإخوانِ كانَ مغموزَ[3] النَّسبِ).

[الأخُ الموافِقُ]

ومِنْها أَنْ تكونَ الشَّفقةُ على الأخِ المُوافِقِ أكثرَ مِن الشَّفقة على الوَلَدِ. قالَ أبو زائدةَ: كَتَبَ الأحْنَفُ إلى صديقٍ له: أَمَّا بعدُ، فإذا قدمَ أَخٌ لكَ موافقٌ، فلْيَكُنْ مِنْكَ بمنزلةِ السَّمعِ والبَصرِ؛ فإنَّ الأخَ المُوافِقَ أفضَلُ مِن الولدِ المخالِفِ. أَلم تسمعْ قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لنوحٍ عليهِ السَّلامُ في ابنِهِ: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ﴾[4].

---

(١) ذكره النووي في مقدمة «شرح المهذب»: (١/١٣) من كلام الإمام الشافعي رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٧٢/٦٠٥٦) ومسلم في «الصحيح»: (١/١٠١/١٠٥) وغيرهما.

(٣) أي: طعن.

(٤) سورة هود: آية رقم ٤٦.

[سترُ العَوراتِ]

ومِنْها الاجْتِهادُ في سترِ عوراتِ الإخوانِ وقبائحهمْ، وإظْهارُ مناقبِهِمْ، وكونُهُمْ يداً واحدةً في جميعِ الأوقاتِ. قال النبي ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنَيْنِ إذا التَقَيا كاليدينِ تَغْسِلُ إحداهما الأُخرى»[1].

وأُنشِدَ عن ثعلبٍ:

ثلاثُ خِصالٍ لِلصَّديقِ جَعَلْتُها ... مُضارعَةً للصَّومِ والصَّلَواتِ
مُواساتُهُ، والصَّفْحُ عن عَثَراتِهِ ... وتركُ ابْتذالِ السِّرِّ في الخَلَواتِ

ولسعيدِ بنِ حَمدانَ:

لم أُؤاخِذْكَ إذْ جَنَيْتَ لأنِّي ... واثقٌ مِنْكَ بالإخاءِ الصَّحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ... وقبيحُ الصَّديقِ غيرُ قبيحِ

[هَجرُ اسْتبقاءِ الوُدِّ]

ومِنْها ألَّا يَهْجُرَ الأخَ هَجْرَ بِغْضَةٍ بل هَجْرَ استبقاءٍ لوُدِّهِ وقَطْعِ مقالةِ واشٍ عنهُ؛ فقد ورَدَ مِن طريق عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ: «لا يَحِلُّ لمسلمٍ أنْ يَهجُرَ أخاهُ فوقَ ثلاثٍ، يلتقيانِ فيُعرضُ هذا، ويُعرِضُ هذا، وخيرُهُما الذي يبدأ بالسَّلامِ»[2].

[التَّودّدُ والصَّفحُ]

ومِنْها التودُّدُ للإخوانِ بالاصْطِناعِ[3] إليهمْ والصَّفحِ عنهمْ. وقالَ عليه

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس»: (٤/١٣٢/٦٤١١) والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (١٢٨) كما قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء»: (٢/١٥٨) وفيه: «وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذّاب».

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١٠/٤٩٢/٦٠٧٧) ومسلم في «الصحيح»: (١٠/٤٩٢/٦٠٧٧) وغيرهما كما فصّلناه في كتابنا «إضاءة الشموع في بيان الهجر المشروع والممنوع».

(٣) بمعنى العطية والكرامة والإحسان (هـ).

السَّلامُ: «اصنعِ المعروفَ إلى مَنْ هو أهْلُهُ فإن لم تُصِبْ أهلَهُ فأنتَ أهلهُ»[1]. وقالَ عليهِ السَّلامُ: «رأسُ العَقْلِ بعدَ الدِّينِ التَّودُّدُ إلى الناسِ واصطناعُ المعروفِ إلى كلِّ بَرٍّ وفاجرٍ»[2].

ويُنشَدُ لابنِ أبي النَّجمِ:

اصنعِ الخيرَ ما اسْتَطَعْتَ، وإنْ كنتَ لا تُحيطُ بكُلِّه
فمتى تصنَعُ الكثيرَ إذا كُنْتَ تاركاً لأقلِّه

[حِفْظُ العَهدِ]

ومِنْها الدَّوامُ للإخوانِ على حُسْنِ العِشْرَةِ، وإنْ وَقَعَتْ بينَهم وَحْشَةٌ أو

---

(١) أخرجه الدّارقطني في «العلل»: (١٠٧/٣) والغرائب كما في «لسان الميزان»: (٤٠٨/٣)والقضاعي في «مسند الشهاب»: (٧٤٧/٤٣٦/١) والخطيب كما في «اللسان»: (٤٠٨/٣) وقال عقبه: «لا يصح عن مالك رحمه الله تعالى» وأورده الذّهبي في «الميزان»: (٥٥٠/٢) وقال: «إسناده مظلم وخبر باطل، أطلق الدَّارقطني على رواته التّضعيف والجهالة».
وانظر: «فيض القدير»: (٥٣٣/١) و«إتحاف السادة المتقين»: (٢٥٧/٦).

(٢) أخرج الشطر الأول من حديث أبي هريرة: البزار، وفيه عبيدالله بن عمرو- أو ابن عمر- القيسي، وهو ضعيف، كما في «المجمع»: (١٧/٨) ومن حديث علي: الطبراني في «الصغير» (٧٠٥/٢١/٢، مع الروض) «الأوسط» وفيه جماعة لم أعرفهم، كما في «المجمع»: (٢٤/٨) وأبو نعيم في «الحلية»: (٢٠٣/٣) والجعابي في «أخبار الطالبين» كما في «إتحاف السادة»: (٢٥٧/٦) ومن حديث أنس: الديلمي في «الفردوس»: (٣٢٥٦/٢٧٠/٢، ٣٢٥٧) والشيرازي في «الألقاب» كما في «إتحاف السادة»: (٢٥٧/٦) ومن مرسل سعيد بن المسيَّب: الخطيب في «التاريخ»: (١٢٥/١٤)، وابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج»: (١٧) والحديث عند البيهقي في «الشعب» وضعفه، كما في «فيض القدير»: (٥٧٥/٣) و«اتحاف السادة»: (٢٥٧/٦).
والخلاصة: الحديث غير صحيح، بل حكم عليه الشيخ الألباني بأنه موضوع، كما في «ضعيف الجامع»: رقم (٣٠٧٦).
وأخرجه بتمامه السلبي في «آداب الصحبة»: (١٣٩) وفيه كذاب.

نَفْرَةٌ، فلا يَتْرُكُ كرمَ العهدِ، ولا يُفْشي الأسرارَ المعلومةَ في أيّامِ الأُخوَّةِ. ويُنشدُ لبعضِهِمْ:

نَصِلُ الصَّديقَ إذا أرادَ وِصالَنا ... ونَصُدُّ عندَ صدودِهِ أَحْيانا
إنْ صدَّ عنِّي كنتُ أكرمَ مُعْرِضٍ ... ووَجَدْتُ عنهُ مَذْهباً ومكانا
لا مُفْشِياً بَعْدَ القَطيعةِ سِرَّهُ ... بل كاتمٌ مِنْ ذاكَ ما اسْتَرْعانا
إنَّ الكريمَ إذا تَقَطَّعَ وُدُّهُ ... كَتَمَ القَبيحَ وأَظْهَرَ الإحسانا

[التغافلُ]

ومِنْها التغافُلُ عن الإخْوانِ. قال جعفرُ بنُ محمَّدٍ الصَّادقُ: (عظِّموا أقدارَكم بالتَّغافُلِ).

[تركُ الوقيعةِ]

ومِنْها تَرْكُ الوَقيعةِ فيهِمْ. قال المُهاجريُّ: (قالَ أعرابيٌّ لرجلٍ: قد استَدلَلْتُ على عيوبِكَ بكثرةِ ذكرِكَ لعيوبِ النَّاسِ، لأنَّ طالبَها مُتَّهمٌ بقدرِ ما فيه منها).

[قبولُ الاعتذارِ]

ومِنْها قبولُ العُذرِ مِنْ فاعِلِهِ، صَدَقَ أو كَذَبَ؛ لقولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اعتذرَ إليهِ أخوهُ المسلمُ، فلم يقبلْ عذرَهُ، فعليهِ مثلُ صاحبِ مَكْسٍ»[1]. ولبعضِهِمْ:

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفيه إبراهيم بن أعين، وهو ضعيف، كما في «المجمع»: (٨/٨١).
وأخرج نحوه: ابن ماجه في «السنن»: (٢/١٢٢٥/٣٧١٨) وابن حبان في «روضة العقلاء»: (١٨٢) والديلمي في «الفردوس»: (٣/٦٠٦/٥٩٠٠) والضياء كما في «فيض القدير»: رقم (٨٤٧٥) وأبو داود في «المراسيل»: (ل٢٣/أ) وإسناده ضعيف. فيه أربع علل، انظرها في «غاية المرام»: (ص ٢٣٦).

أقبلْ معاذيرَ مَنْ يأتيكَ مُعتذِراً إنْ يروِ عندَكَ فيما قالَ أو فَجَرا
فقد أطاعكَ مَنْ أرضاكَ ظاهرُهُ وقد أَجلَّكَ مَنْ يَعْصيكَ مُسْتَتِرا

قالَ عبدُاللَّهِ بنُ المباركِ: (المؤمنُ طالبٌ عُذْرَ إخوانِهِ، والمنافقُ طالبٌ عثراتِهِم).

[قضاءُ حوائجِ الإخوانِ]

ومِنْها التَّسارُعُ إلى قضاءِ حاجةِ رافِعِها إليكَ، لقولِ جَعْفَر الصَّادقِ: (إنِّي لأُسارعُ إلى قضاءِ حوائجِ الإخوانِ مخافَةَ أنْ يستغنوا عنِّي بِرَدِّي إيَّاهُمْ). وقال ابنُ الْمُنكَدِرِ: (لم يبق مِنَ اللَّهِ إلا قضاءُ حوائجِ الإخوانِ).

[مشاهدَةُ الإخوانِ]

ومِنْها ألاّ يُنسيَكَ بُعْدُ الدارِ كَرَمَ العَهْدِ والنزوعَ إلى مشاهدةِ الإخوانِ. قال ابنُ الأنباريِّ: (مِنْ كَرَم الرَّجلِ حنينُهُ إلى أوطانِهِ، وشوقُهُ إلى إخوانِهِ).

[صوْنُ السَمعِ واللِّسانِ]

ومِنْها صَوْنُ السَّمعِ عن سماعِ القبيح، واللِّسانِ عن نُطقِهِ؛ فقد قالَ، عليهِ السَّلامْ: «يقولُ اللَّهُ، عزَّ وجلَّ: أينَ الذينَ كانوا يُنَزِّهونَ أسماعَهمْ عن الخَنا أُسْمِعُهُمْ اليومَ حمدي والثناءَ عليَّ»[1].

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» من حديث جابر بن عبدالله كما في «تمهيد الفرش»: (ص ٩٦ ـ بتحقيقنا) وإسناده ضعيف، وجاء نحوه مرفوعاً من حديث ابن عباس، كما في «الدر المنثور»: (٥/١٥٣).
وقال ابن العربي في «عارضة الأحوذي»: (١٢/٧٤): «أما المرفوع، فلا يصح».
قلت: قد صح موقوفاً على محمد بن المنكدر كما عند: ابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»: (ورقة ٨٦) رقم (٣٢ ـ مختصره) وابن الجعد في «المسند»: (٢/٧١٤/١٧٥٨، ١٧٥٩) ونعيم بن حماد في «زوائد الزّهد» رقم (٤٣) ورزين كما في «جامع الأصول»: (٨/١٧٥٨، ١٧٥٩) ونعيم بن حماد في «زوائد الزّهد» رقم (٤٣) ورزين كما في «جامع الأصول»: (٨/٤٥٨) وأسد بن موسى كما في=

ولبعضِهِمْ:

تَحرَّ مِن الطُّرْقِ أوساطَها ... وخَلِّ عن المَوضْعِ المُشْتَبَهْ
وسمعكَ صُنْ عن سماعِ القبيحِ ... كصَوْنِ اللِّسانِ عن النّطقِ بهْ
فإنَّكَ، عِنْدَ استماعِ القبيحِ ... شريكٌ لقائِلِهِ، فانْتَبَهْ
فكَمْ أزعجَ الحِرْصُ مِن طالب ... فوافىٰ المنيَّةَ في مطلبِهْ

[ردُّ الجوابِ]

ومنها المُبادرةُ في الجوابِ عن كتابِ الأخِ، وتَرْكُ التَّقصيرِ فيهِ. قالَ ابنُ عبَّاسٍ، رضيَ اللَّهُ عنهُ: (إنِّي أرى لردِّ الجوابِ حقّاً، كما أرى لردِّ جوابِ السَّلامِ).

وأنْشَدَ لأبي هَفّانَ:

إذا الإخوانُ قاتَهُمُ التَّلاقي ... فمَا شيءٌ أسرُّ مِنَ الكتاب
وإنْ كتبَ الصَّديقُ إلى صديقٍ ... [فَحَقُّ][1] كتابِهِ ردُّ الجَوابِ

[أدبُ الاستئذانِ]

ومِنْها الأدبُ في الاستئذانِ واستعمالُ السُّنَّةِ فيه؛ لقول النبيِّ ﷺ: «الاستئذانُ ثلاثٌ: الأُولى تَسْتَنْصتونَ[2]، والثَّانيةُ يستصلحونَ، والثَّالثةُ يأذنونَ أو يردُّونَ»[3].

= «تفسير القرطبي»: (٥٣/١٤) والآجرّي في «تحريم النرد والملاهي» رقم (٦٧، ٦٨) وأبو نعيم في «الحلية»: (١٥١/٣).

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في الأصل.

(٢) استنصت: أي: طلب أن ينصت (هـ).

(٣) أخرجه الديلمي في «الفردوس»: (٤٢٦/١٢٤/١) والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (١٦٢) والدّارقطني في «الأفراد»: كما في «الجامع الكبير» رقم (٢٥٢٠٣ ـ ترتيبه الكنز) وسنده ضعيف، كما في «تخريج أحاديث الإحياء»: (١٩٣/٢) و«الميزان»: (٢١٥/٣) و«فيض القدير»: (١٧٦/٣).

[إفطارُ المدعوِّ]

ومِنْها ألاّ يصومَ إذا دعاهُ أخٌ إلاَّ بإذنِهِ؛ وإنْ نوى الصَّومَ فَلْيُفْطِرْ تحرّياً لسرورِهِ؛ فإنَّ أبا سعيدٍ الخدريّ، رضيَ اللَّهُ عنهُ، قال: صنعتُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، طعاماً، فجاءَ هو وأصحابُهُ، فلمّا وُضِعَ الطَّعامُ، قالَ رجلٌ مِن القومِ: إنِّي صائمٌ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «دعاكمْ أخوكمْ، وتكلَّفَ لكمْ، أفْطِرْ ثم صُمْ يوماً مكانَه إنْ شئتَ»(١).

[تفقُّدُ الخلانِ والإخوانِ]

ومِنْها الرَّغبةُ في زيارةِ الإخوانِ والسؤالِ عن أحوالِهِمْ؛ فقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ رجلاً زارَ أخاهُ في قريةٍ، فأرْصَدَ(٢) على مَدْرَجَتِهِ(٣) مَلَكاً، فقالَ لهُ: إلى أينَ يا عبدَاللَّهِ؟ فقالَ أزورُ أخاً لي في اللَّهِ تعالى في هذهِ القريةِ، فقالَ له: طِبْتَ، وطابَ ممشاكَ، وتَبَوَّأْتَ مِنْ الجنَّةِ منزلاً»(٤).

وكانَ عبدُاللَّهِ بن مسعودٍ يقول: (كُنّا إذا افْتَقَدْنا الأخَ أتَيْناهُ، فإنْ كانَ مريضاً كانتْ عيادةً، وإنْ كانَ مشغولاً كانَتْ عَوْناً، وإنْ كانَ غيرَ ذلكَ كانَتْ زِيارةً).

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى»: (٤/٢٧٩) والدَّارقطني في «السنن»: (٢/١٧٧) والطبراني في «الأوسط»، وفيه حماد بن أبي حميد، وهو ضعيف، كما في «المجمع»: (٤/٥٣).
وضعّفه الدّارقطني بالإنقطاع.
قلت: هو ضعيف، فحالف لما صَحّ عن رسول الله ﷺ: «الصّائم أمير نفسه، إنْ شاء صام، وإنْ شاء أفطر».

(٢) يقال: أرصد الرّقيب: أي أقامه، يرصد له الطّريق (هـ).

(٣) المدرجة: هي المواضع التي يدرج فيها، أي: يمشي، والمدارج: الثّنايا الغِلاظ بين الجبال (هـ).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٨٨/٢٥٦٧) وغيره كما فصّلناه في كتابنا «من قصص الماضيين في حديث سيد المرسلين» نشر دار الهجرة/ الدمام.

[فَهْمُ نفوسِ الأصحابِ]

ومِنْها أَنْ تُصاحبَ كُلًّا مِنْ الإخوانِ على قَدْرِ طريقتِهِ. قالَ شبيبُ بنُ شَيبةَ: (لا تُجالسْ أحداً بغيرِ طريقةٍ، فإنكَ إذا أَرَدْتَ لقاءَ الجاهِلِ بالعِلْمِ، واللاَّهي بالفقهِ، والغبيِّ بالبيانِ، آذَيْتَ جليسَكَ). ويُروَى للإمامِ عليٍّ، رضيَ اللَّهُ عنهُ:

لَئِنْ كنتُ محتاجاً إلى العلم إنَّني ... إلى الجهلِ في بعضِ الأحايينِ أحوجُ
وما كنتُ أرضَى الجهلَ خِدْناً[1] ولا أخاً ... ولكنَّني أَرضى بهِ حينَ أُحْوَجُ
فَمَنْ شاءَ تقويمي، فإنِّي مُقوَّمٌ ... ومَنْ شاءَ تَعويجي، فإنِّيَ مُعوَجُّ

[حِفْظ العهودِ]

ومِنْها حفظُ حُرُماتِ الصُّحبةِ والعِشْرَةِ. قالَ جعفرٌ الصَّادقُ، رضيَ اللَّهُ عنهُ: (مودَّةُ يومٍ صِلةٌ، ومودَّةُ سَنَةٍ رَحِمٌ ماسَّةٌ[2] مَنْ قطعَها قَطَعَهُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ)؛ وقالَ عليُّ بنُ عُبيدةٍ الرَّيحانيُّ: (الأحرارُ ما لم يَلْتَقُوا معارفُ، فإذا التقَوا صارُوا إخواناً، فإذا تعَاشرُوا توارثُوا)؛ وقالَ الصَّادِقُ: (صداقة عشرينَ يوماً قرابةٌ).

[مُواساةُ الإخوانِ]

ومِنْها إنصافُ الإخوانِ مِنْ نفسِهِ، ومواساتُهمْ مِنْ مالِهِ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «أشرفُ الأعمالِ ذكرُ اللَّهِ تعالى، وإنصافُ المؤمنِ مِنْ نفسِهِ، ومواساةُ الأخِ مِنْ مالِهِ»[3].

---

(١) الخِدْن والخدين: أي الصاحب، ومَنْ يخادنك في كلّ أمرٍ ظاهر وباطن (هـ).
(٢) أي قرابة قريبة (هـ).
(٣) أخرج نحوه مرفوعاً: ابن أبي حاتم في «العلل»: (٢/١٤٥) والبزّار والبغوي وابن الأعرابي كما في «الفتح»: (٢/٨٢، ٨٣) واستغربه الحافظ مرفوعاً.
قلت: الصحيح أنه موقوف عند البخاري في «الصحيح»: (١/٨٢) لكنه معلق، ووصله جماعة، كما في «التغليق»: (٢/٣٦).
والحديث أخرجه السلمي في «آداب الصحبة»: رقم (١٧٢) وفيه مُتَّهم بالكذب.

[الصَّبرُ على الهجرانِ]

ومِنْها الصَّبرُ على جفاءِ الإخوانِ، وإسقاطُ التُّهمةِ عنهمْ بعدَ صِحّةِ الأُخوّة.

[وصيَّةُ عَلْقَمَةَ لابنِهِ]

ومِنْ جامعِ الصُّحبةِ والعِشْرةِ قولُ يحيى بنِ أكثمَ لمّا حَضرتْ عَلْقَمَةَ العطَّارَ الوَفاةُ، قالَ لابنِهِ: (يا بُنيَّ إذا صحِبْتَ الرِّجالَ، فاصْحَبْ مَنْ إذا أَخْدَمْتَهُ صانَكَ، وإنْ صحبتَهُ زانَكَ، وإنْ تحرَّكتْ بكَ مُؤنةٌ صانَكَ، وإنْ أمْدَدْتَ بخيرٍ مدَّ، وإنْ رأى مِنْكَ حسنةً عدَّها، أو سيّئةً سترَها، وإنْ أَمْسَكْتَ ابتدأَكَ، أو نَزَلَتْ بكَ نازلةٌ واساكَ، وإنْ قُلْتَ صَدَّقَكَ، أو حاولتَ أمراً أمَّرَكَ، وإذا تنازعتُما في حقٍّ آثَرَاكَ». قالَ عبدُالملكِ: (سَمِعَ الشَّعبيُّ هذِهِ الوصيَّةُ فقالَ: تدري لِمَ أوصْاهُ بها؟ فقُلتُ: لا! قال: لأنَّهُ أوصاهُ ألاّ يصحبَ أحداً، لأنَّ هذه الخِصالِ لم تَكْمُلْ في أحدٍ).

[التوقير والرحمَةُ]

ومِنْها تعظيمُ حُرْمةِ المشايخِ، والرَّحمةُ والشَّفقةُ على الإخوانِ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «[ليس منا][1] مَنْ لم يُوَقِّرْ كبيرَنا ويَرْحَمْ صغيرَنا»[2]. وقالَ عليهِ السَّلامُ: «مِنْ إجلالِ اللَّهِ تعالى إكرامُ ذي الشَّيبةِ في الإسلامِ»[3].

---

(١) ما بين المعقوفين غير موجود في الأصل.

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (٣٥٤، ٣٥٨) وأحمد في «المسند»: (٢/١٨٥، ٢٠٧) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣٢٢/١٩٢٠) وأبو داود في «السنن»: (٤/٢٨٦/٤٩٤٣) وسنده حسن، وله شواهد تقوّيه، انظرها في «نصب الراية»: (٤/٢٦ - ٢٨).

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٤/٢٦١/٤٨٤٣) من حديث أبي موسى مرفوعاً. وحسّنه الذّهبي والنووي والعراقي وابن حجر، وانظر: ترجمة (أبي كنانة) من «السير»، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٥٧) موقوفاً على أبي موسى. وللحديث شواهد تقوّيه.

[أدبُ الأحداث]

ومِنْها ألاّ يُكلَّمَ الأحداثَ بحَضْرةِ الشيُّوخِ. قالَ جابرٌ: قَدِمَ وفدُ جهينةَ على النبيِّ ﷺ فقامَ غلامٌ ليتكَلَّمَ، فقالَ النبيُّ ﷺ: «وأينَ الكُبراءُ؟»[1].

ومِنها أَنَّ الإنسانَ إذا أَرادَ سفراً يُسلِّمُ على إخوانِهِ ويزورُهُمْ، فلعلَّ لأحدِهِمْ حاجةً في وِجْهَتِهِ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «إذا سافَرَ أَحدُكُمْ فلْيُسَلِّمْ على إخوانِهِ، فإنَّهُمْ يزيدونَهُ بدعائهمْ إلى دعائِهِ خيراً»[2].

[دوامُ العهودِ]

ومِنْها ألاّ يَتَغَيَّرَ عن إخوانِهِ إذا حَدَثَ له غِنىً. أنشدَ المُبرِّدُ:

لَئِنْ كانتِ الدُّنيا أَنالَتْكَ ثروةً ... وأَصْبَحْتَ منها، بعدَ عُسْرٍ، أخا يُسْرِ
لقد كَشَفَ الإثراءُ عنكَ خلائقاً ... مِن اللؤمِ كانتْ تحتَ سِترٍ مِن الفَقْرِ

[التمادي في الخِصام]

ومِنها ألاَّ يُغْرِقَ في الخُصومةِ، ويتركَ للصُّلحِ موضعاً؛ فقد رُويَ عن النبيِّ ﷺ، أو علي كرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ: «أَحْبِبْ حبيبَك هَوْناً ما، عسى أنْ يكونَ بغيضَكَ يوماً ما، وابغضْ بغيضَكَ هَوْناً ما، عسى أن يكونَ حبيبَكَ يوماً ما»[3].

---

(١) أخرجه البزار (١٩٥٨، كشف الأستار) والطبراني في «الأوسط»، والسلمي في «آداب الصحبة» رقم (١٧٨) وفيه محمد بن أبي ليلى، وهو سيء الحفظ، كما في «المجمع»: (١٥/٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفيه يحيى بن العلاء الحلبي، وهو ضعيف، قاله الهيثمي في «المجمع»: (١٢٠/٣).

(٣) أخرجه من حديث علي مرفوعاً: أبو الشيخ في «الأمثال»: (١١٢، ١١٣) والدارقطني في «العلل»: (٣٣/٤) و«الأفراد» كما في «فيض القدير»: (١٧٧/١) والطبري في «تهذيب الآثار» رقم (٤٧٧) وعنه موقوفاً: أحمد في «فضائل الصحابة»: (٣٣٦/١، ٣٣٧/٤٨٤) وابن شبة في «تاريخ المدينة»: (٣٨٥/٢) والبخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٤٤٧)والطبري في «تهذيب الآثار» رقم=

قيلَ لأبي سفيانَ بنِ حربٍ: (بِمَ نِلْتَ هذا الشَّرفَ؟ قالَ: ما خاصمتُ رجلاً إلّا جَعَلْتُ للصُّلحِ بينَنا موضعاً).

[معرفةُ أقدارِ الرِّجالِ]

ومِنها معرفةُ الرِّجالِ ومعاشرتُهمْ على حَسَبِ ما يَسْتَحِقونَهُ، فقد قيلَ: إنَّ فتىً جاء إلى سُفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ مِن خلفِهِ فَجذَبَهُ، وقال: يا سُفيانُ، حدِّثْني فالتفتَ سفيانُ إليهِ، وقالَ: يا بُنيَّ، مَنْ جَهِلَ أقدارَ الرِّجالِ، فهو بنفسِهِ أجهلُ.

[مخالفُ الاعتقادِ]

ومِنها ألّا يُعاشرَ مَنْ يُخالِفُهُ في اعتقادِهِ. قال يحيى بنُ معاذٍ: (مَنْ خالَفَ عَقْدُكَ عَقْدَهُ خالفَ قلبُكَ قلبَهُ).

= (٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢) ومسدد كما في «المطالب العالية»: (٩/٣): وصحح الترمذي في «جامعه»: (٣٦٠/٤) وابن حبان في «المجروحين»: (٣٥١/١) وقفه وأخرجه من حديث أبي هريرة مرفوعاً: الترمذي في «الجامع»: (١٩٩٧/٣٦٠/٤) وأبو الشيخ في «الأمثال»: (١١٤) وابن حبان في «المجروحين»: (٣٥١/١) وابن عدي في «الكامل»: (٥٩٣/٢) وابن جرير في «تهذيب الآثار»: (٤٨٣) وقال الترمذي: «هذا حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه» وقال الذهبي في «الميزان»: (٢٥٣/٢) بعد أن أورد حديث أبي هريرة: «وإنما هذا من قول علي» وقال العراقي في «الرد على الصفاني»: (٣٦٥/٢، مع مسند الشهاب) متعقّباً الترمذي: «قلت: ورجاله ثقات، احتج بهم مسلم في «صحيحه» وإنما ضعفه الترمذي من حديث علي، وقال: الصحيح عن علي موقوفاً» انتهى.

وقد ورد من حديث عبدالله بن عمر وعبدالله بن عمرو، ولا يصح من حديثهما، والله أعلم».

وانظر: «غاية المرام»: (ص ٢٧٣ - ٢٧٤).

[ذو الودِّ القديم]

ومِنها معرفةُ حقِّ مَنْ سَبقَكَ بالمودَّةِ. قال بلالُ بنُ سعيدٍ: (مَنْ سَبَقَكَ بالوُدِّ، فقد استرقَّكَ بالشُّكرِ).

[الإخاءُ والثَّناءُ]

ومِنْهَا تَرْكُ التطريةِ[1] والثَّناءِ بعدَ صِحَّةِ الأُخوَّةِ والمودَّةِ. قالَ عبدُالرحمٰنِ بنُ مهدي: (إذا تأكَّدَ الإخاءُ سَقَطَ الثَّناءُ)، وقالَ الحجيُّ لرجلٍ: (حُبيَّ لكَ يمنعُ مِنَ الثَّناءُ عليكَ).

[آداب الصحبة]

قالَ السُّلَمي: والصُّحبةُ على أوجه، لكلٍّ آدابٌ ومواجبُ ولوازمُ:

[صُحْبةُ اللَّهِ]

فَمَعَ اللَّهِ، سُبْحانُهُ: باتِّباعِ أوامِرِهِ، وتركِ نواهيهِ، ودوامِ ذكرِهِ، ودرسِ كتابِهِ، ومُراقبةِ أسرارِ العبدِ إنْ يُخْتلِجْ فيها ما لا يرضاهُ مولاهُ، والرِّضا بقضائِهِ، والصَّبرِ على بلائهِ، والرَّحمةِ والشَّفقةِ على خَلْقِهِ.

[صُحبةُ النبيِّ ﷺ]

وَمَعَ النبيِّ ﷺ: باتِّباعِ سُنَّتِهِ، وتركِ مُخالفتِهِ فيما دقَّ وَجلَّ.

[صحبةُ الصَّحابةِ وآلِ البيتِ]

وَمَعَ أصحابِهِ وأهلِ بيتِهِ: بالتَّرحُّمِ عليهمْ، وتقديمِ مَنْ قَدَّمَ، وحُسنِ القولِ فيهم، وقبولِ أقوالِهِمْ في الأحكامِ والسُّننِ، لقولِهِ عليه السَّلامُ:

---

(١) الإطراء: مجاوزة الحدّ في المدح، والكذب فيه (هـ).

«أصحابي كالنُّجومِ، بأيِّهِمْ اقتديتمْ اهتديْتُمْ»[1]، وقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «إنِّي تاركٌ فيكمْ الثَّقلينِ: كتابَ اللَّهِ، وعِتْرَتي[2] أهلَ بيتي»[3].

[صُحبةُ أولياءِ اللَّهِ]

وَمَعَ أَولِياءِ اللَّهِ: بالخِدمةِ، والاحترامِ لَهُمْ، وتصديقِهِمْ فيما يُخبرونَ عن أَنْفسِهِمْ ومشايخِهِمْ؛ فقد رُويَ عن النبي ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ، تعالى، يقول: مَنْ أَهانَ لي وليًّا فقد بارَزَني بالمحاربةِ»[4].

[صُحبةُ السُّلطانِ]

ومَعَ السُّلطانِ: بالطَّاعَةِ في غيرِ معصيةِ اللَّهِ، إذ مُخالفتُهُ سُنَّةٌ، فلا [يدعو] عليهِ فيهما، بل يدعو له غائباً، ليُصلِحَهُ اللَّهُ تعالى، ويُصلَحَ على يديهِ؛ وينصحُهُ في جميعِ أمورِ دينِهِ، ويصلِّي ويُجاهِدُ مَعَهُ؛ لقولِ النبيِّ ﷺ: «الدِّينُ النَّصيحةُ»، قالوا: لِمَن يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «للَّهِ، ولكتابِهِ، ولرسولِهِ، ولأئمةِ المسلمينَ، وعامَّتِهِمْ»[5].

[صُحبةُ الأهلِ والولدِ]

ومَعَ الأهلِ والوَلدِ: بالمداراةِ وسَعَةِ الخُلُقِ والنَّفسِ وتمامِ الشَّفقةِ وتعليمِ الأدبِ والسُّنَّةِ، وحملِهِمْ على الطَّاعةِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

(١) الحديث موضوع، ولم يثبت له سند قائم، كما في «السلسلة الضعيفة»: (٦١، ٦٢، ٤٣٨).

(٢) عترة الرجل: أقرباؤه من ولده وولد ولده وبني عمّه (هـ).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند»: (٤/٣٧١) والطبراني في «المعجم الكبير»: (٥٠٤٠) بإسناد صحيح، وأفرد طرقه والكلام عليها الدكتور أحمد علي السّالوس في جزء خاص، اسمه: «حديث الثقلين وفقهه» فراجعه.

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (١١/٣٤٠/٦٥٠٢).
وانظر ـ لزاماً ـ كلام الحافظ ابن حجر عليه.

(٥) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (١/٧٤/٥٥).

ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[1]. الآية، والصَّفحِ عن عثراتِهِمْ، والغَضِّ عن مساوئِهِمْ في غير إثمٍ أو معصيةٍ، لقولِ النبيِّ ﷺ: «المرأةُ كالضِّلعِ، إنْ أقَمْتَها تَكْسِرْها، وإنْ [داريتَها] تَعِشْ مِنْها على عِوَجٍ»[2].

[صُحبةُ الإخوانِ]

ومَعَ الإخوانِ: بدوامِ البِشرِ، وبَذْلِ المعروفِ، ونَشْرِ المحاسنِ، وسترِ القبائحِ، واستكبارِ بِرِّهِمْ إيَّاكَ، واستقلالِ بِرِّكَ إيَّاهُمْ، وإنْ كَثُرَ، ومساعدتِهِمْ بالمالِ والنَّفسِ، ومجانبةِ الحقدِ والحسدِ والبغيِ وما يكرهونَ مِنْ جميعِ الوجوهِ، وتركِ ما يُعْتَذَرُ مِنْهُ.

[صُحبةُ العُلماءِ]

ومَعَ العُلَماءِ: بملازمةِ حُرُماتِهِمْ، وقبولِ أقوالِهِمْ، والرُّجوعِ إليهم في المهمّاتِ، ومعرفة المكانِ الذي جَعَلَهُ اللَّهُ لهمْ مِنْ خلافةِ نبيِّهِ ووِراثتِهِ؛ لقولِهِ عليهِ السَّلامُ: «العُلماءُ وَرَثَةُ الأنبياءِ»[3].

[صُحبةُ الوالدينِ]

ومَعَ الوالِدين: بِبِرِّهما بالخِدْمَةِ بالنَّفسِ والمالِ في حياتِهما، وإنجازِ وعدِهما بعدَ وفاتِهما، والدُّعاءِ لهما في كلِّ الأوقاتِ، وإكرامِ أصدقائِهما؛

---

(١) سورة التحريم: آية ٦.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح»: (٩/٢٥٢/٥١٨٤) ومسلم في «الصحيح»: (٢/١٠٩٠/١٤٦٨) وغيرُهما.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن»: (٣/٣١٧/٣٦٤١، ٣٦٤٢) والترمذي في «الجامع»: (٥/٤٨/٢٦٨٢) وابن ماجه في «السنن»: (١/٨١/٢٢٣) وابن حبان (١/١٥٢ - الإحسان).
والحديث صحيح، أسهب في الكلام عليه: ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم»: (١/٣٣ - ٣٧) والمنذري في «مختصر سنن أبي داود»: رقم (٣٤٩٤).

لقولِهِ؛ عليهِ السَّلامُ: «إنَّ البرَّ أَنْ يَصلَ الرَّجلُ أَهلَ وُدِّ أَبيهِ»[1]؛ وقد قالَ رجلٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ: هل بقيَ عليَّ مِن برٍّ والدَيَّ شيءٌ أبرُّهما بهِ بعدَ وفاتِهما؟ قالَ: «نعمْ. الصَّلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما، وإكرامُ صديقِهما، وصِلةُ الرَّحِمِ التي لا تُوصلُ إلَّا بِهما»[1]. وقال عليهِ السَّلامُ: «مِن العُقوقِ أَنْ يرى أَبواكَ رأياً وتَرَىٰ غيرَهُ».

[صُحبةُ الضَّيفِ]

ومَعَ الضَّيفِ: بِالبِشْرِ، وطلاقةِ الوجهِ، وطيبِ الحديثِ، وإظهارِ السُّرورِ، وقبولِ أَمرِهِ ونهيهِ، ورؤيةِ فضلِهِ ومِنَّتِهِ بإكرامِكَ وتحرِّيهِ لطعامِكَ.

ولمعرِّسِ بن كرامٍ:

مَنْ دعَانَا فَأَبَيْنا ... فَلَهُ الفَضْلُ عَلَيْنَا
فإذا نحنُ أتينا ... رَجَعَ الفَضْلُ إلينا

[آداب الجوارح]

ثم على كلِّ جارحةٍ[3] أدبٌ تختصُّ بِهِ:

---

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح»: (٤/١٩٧٩/٢٥٥٢) والبخاري في «الأدب المفرد»: (٤٠، ٤١) وأحمد في «المسند»: (٢/٨٨، ٩٧) وأبو داود في «السنن»: (٤/٣٣٧/٥١٤٣) والترمذي في «الجامع»: (٤/٣١٣/١٩٠٣) والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٤/١٨٠) و«الآداب»: (٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»: (٣٥) وأبو داود في «السنن»: (٤/٣٣٦/٥١٤٢) وابن ماجة في «السنن»: (٢/١٢٠٨/٣٦٦٤) وأحمد في «المسند»: (٣/٤٩٨) وابن حبان: (١/٣٢٤/٤١٩، الإحسان) والحاكم في «المستدرك»: (٤/١٥٤) والطبراني في «المعجم الكبير»: (١٩/٢٦٧) والبيهقي في «السنن الكبرى»: (٤/٢٨) والآداب: رقم (٤) والحديث صحيح.

(٣) جوارح الإنسان: أعضاؤه وعوامل جسده، كيديه ورجليه، وواحدتها: جارحة، لأنهن يجرحن الخير والشّر، أي: يكتسبنه (هـ).

[أَدَبُ البَصَرِ]

فَأَدَبُ البَصَرِ نظرُكَ للأخِ بالمودَّةِ التي يعرِفُها مِنْكَ، هو والحاضرونَ، ناظراً إلى أحسنِ شَيءٍ يبدو مِنهُ، غيرَ صارفٍ بَصَرَكَ عنهُ في حديثِهِ لَكَ.

[أَدَبُ السَّمعِ]

وأَدَبُ السَّمعِ: إظهارُ التَّلذُّذِ بحديثِ مُحادِثِكَ، غيرَ صارف بصرَكَ عنهُ في حديثِهِ، ولا قاطعٍ له بشيءٍ؛ فإنْ اضطرَّكَ الوقتُ إلى شيءٍ مِنْ ذلكَ، فأظهرْ لهُ عذرَكَ.

[أَدَبُ اللِّسانِ]

وأَدَبُ اللِّسانِ: أن تُحدِّثَ الإخوانَ بِما يُحبُّونَ في وقتِ نشاطِهِمْ لسماعِ ذلكَ، باذلاً لهمْ النَّصيحةَ بِما فيهِ صلاحُهُمْ، مُسْقِطاً مِنْ كلامِكَ ما يكرهونَهُ؛ ولا ترفَعْ صوتَكَ عليهمْ، ولا تُخاطِبْهُمْ إلّا بما يفهمونَهُ ويعلمونَهُ.

[أَدَبُ اليَدَيْنِ]

وأَدَبُ اليَدَيْنِ: بَسْطُهما للإخوانِ بالبِرِّ والصِّلةِ، ولا تقبضْهُما عنهمْ، ولا عن الإفضالِ عليهِمْ ومعونتِهِمْ فيما يستعينونَ بهِ.

[أَدَبُ الرِّجلينِ]

وأَدَبُ الرِّجلينِ: أن تُماشيَ إخوانَكَ على حدِّ التَّبَعِ، ولا تتقدَّمَهُمْ؛ فإنْ قَرَّبَكَ أحدٌ إليهِ تَقْرَبْ بقَدْرِ الحاجةِ، وتَرْجِعْ إلى مكانِكَ؛ ولا تَقْعُدَ عن حقوقِ الإخوانِ ثِقَةً بالأُخوَّةِ، لأنَّ الفُضيلَ رحمَهُ اللَّهُ، قالَ: (تَرْكُ حُقوقِهِمْ مَذَلَّةٌ)، وتقومَ لهمْ إذا أبصَرْتَهمْ مُقبلينَ، ولا تَقْعُدَ إلّا بِقُعودِهِمْ، وتقعدَ حيث يُقْعِدونَكَ.

[آداب البواطن]

[عُنوان أَدَبِ الباطنِ]

واعْلَمْ ، يا أُخيَّ، وفَّقَكَ اللَّهُ للرَّغبةِ في أَدَبِ الصُّحبةِ، أَنَّ أَدَبَ الظَّاهِرِ عنوانُ أَدَبِ الباطِنِ، لقول النبي ﷺ و[قد][1] رأى رجلاً يَمُسُّ لحيتَهُ في الصَّلاةِ، فقالَ: «لو خَشَعَ قلبُ هذا لَخَشَعتْ جوارحُهُ»[2]؛ وقالَ الجُنيدُ لأبي حفْصٍ ، رحمةُ اللَّهِ عليهما: (أَدَّبْتَ أَصحابَكَ أَدَبَ السلاطينِ)، فقال: (لا، يا أبا القاسم، ولكنَّ حُسْنَ أدبِ الظاهرِ عنوانُ أَدَبِ الباطنِ).

[اقترانُ الأدبِ بالعلمِ والحالِ والصُّحبةِ]

ثم اعلمْ أَنَّ كلَّ عِلْمٍ وحالٍ وصُحْبةٍ خَرَجَ مِنْ غيرِ أَدَبٍ غالبٍ مردودٌ على أهلِهِ؛ لقولِهِ عليه السَّلامُ: «إِنَّ اللَّهَ أَدَّبني فأَحْسَنَ تأديبي»[3]. وكانَ عليهِ السَّلامُ يحبُّ معاليَ الأخلاقِ.

[الباطنُ مُطّلعُ اللَّهِ]

وإذا وَجَبَ على العبدِ مراعاةُ ظاهرِهِ لِصُحبةِ الخَلْقِ، فمراعاةُ باطِنِهِ أَولىٰ؛ لأنَّه مُطَّلَعُ الرَّبِّ تعالَى.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من الأصل.

(٢) أخرجه مرفوعاً: الحكيم الترمذي كما في «الدر المنثور»: (٣/٥) وهو موضوع، فيه سليمان بن عمرو، قال فيه ابن عدي: اجتمعوا على أنه يضع الحديث، وجزم ابن تيمية رحمه الله في «مجموع الفتاوى»: (٢٧٣/١٨) بنسبته إلى عمر بن الخطاب، وجزم غيره بنسبته إلى سعيد بن المسيَّب وانظر: «الإرداء»: (٣٧٣) و«السلسلة الضعيفة»: (١١٠).

(٣) أخرجه العسكري عن علي بسندٍ ضعيف جدا، وابن السمعاني بسند منقطع عن ابن مسعود. انظر: «المقاصد الحسنة»: (٤٥) و«الدرر المنتثرة»: (٨) و«أحاديث القصاص»: (٧٨) و«كشف الخفاء»: (١٦٤) و«فيض القدير»: (٢٢٤/١، ٢٢٥).

[أوجهُ مُراعاةِ الباطنِ]

ومُراعاةُ باطِنِهِ وآدابِها بملازمةِ: الإخلاصِ، والتَّوكُّلِ، والخوفِ، والرَّجاءِ، والرِّضا، والصَّبرِ، وسلامةِ الصدرِ، وحسنِ الطويَّةِ، والاهتمامِ بذلك في أمر المسلمينَ؛ لقولِه عليهِ السَّلامُ: «مَنْ لم يهتمَّ للمسلمينَ فليسَ منهُمْ»[1].

* * *

فإذا تأدَّبَ النَّاظرُ في كتابِنا هذا بهذِهِ الآدابِ، وتأدَّبَ ظاهرُهُ بما ذكَرْنا، رَجَوْتُ أن يكونَ منَ الموقنينَ.

فنسألُ اللَّهَ، سبحانَهُ وتعالى، أنْ يوفِّقنا للأخلاقِ الجميلةِ، وأنْ يُسدِّدَنا في أفعالِنا وأقوالِنا وأحوالنا بِمنِّةِ وكرَمِهِ، إنَّهُ أكرمُ الأكرمينَ، وأرحمُ الرّاحمينَ.

والحمدُ للَّهِ وحدَهُ، وصلّى اللَّهُ على مَنْ لا نبيَّ بعدَهُ، مُحَمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ، وسَلَّمَ.

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك»: (٣١٧/٤) وسكت عليه، وتعقبه الذهبي، فقال: «وأحسب الخبر موضوعاً».
وانظر: «السلسلة الضعيفة»: رقم (٣٠٩، ٣١٠).

فهرس الآيات الكريمة

الآيات	الصفحة
﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾	٢٤
﴿أم يحسدون الناس على مآ ءاتٰهم الله من فضله﴾	٢٢
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾	٢٩
﴿إنما المؤمنون أخوة﴾	٥
﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾	٤٥
﴿خذ العفو وأْمُر بالعرف﴾	٣٠
﴿فنظرة إلى ميسرة﴾	٤٠
﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾	٤٢
﴿وشاورهم في الأمر﴾	٣٣
﴿وعاشروهن بالمعروف﴾	٣٨
﴿وليعفوا وليصفحوا﴾	٤٢
﴿ويل للمطففين﴾	٤٠
﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾	٣٤
﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حآد الله ورسوله﴾	١٩
﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾	٥٧ ـ ٥٨

فهرس الأحاديث الشريفة

الحديث	الصفحة
«أحب الأعمال إلى الله أدومها...»	٢٨
«أحب حبيبك هوناً ما، عسى...»	٥٤
«إذا أحببت رجلاً فسله عن اسمه...»	٢٦ - ٢٧
«إذا سافر أحدكم فليسلِّم...»	٥٤
«الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف...»	١٥
«الاستئذان ثلاث: الأول...»	٥٠
«استحي من الله عز وجل كما تستحي رجلاً من...»	٢٣
«استعينوا على حوائجكم بالكتمان...»	٣٣
«أشرف الأعمال ذكر الله...»	٥٢
«أصحابي كالنجوم، بأيهم...»	٥٧
«اصنع المعروف إلى من هو أهله...»	٤٧
«اعدى عدوِّك نفسُك التي بين جنبيك»	٣٢
«إن الأرواح تلاقى في الهوى فتشامّ...»	١٦
«إن البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه»	٥٩
«إن رجلاً زار أخاه في قرية...»	٥١
«إن الله أدبني فأحسن تأديبي...»	٦١
«إن الله تعالى يقول: من أهان لي ولياً...»	٥٧
«إن الله عز وجل أوحى إليّ أن تواضع...»	٣٠

الحديث	الصفحة
«إن الله ورسوله غنيّان عنها. . .»	٣٤
«إن الله يحب حفظ الودّ القديم. . .»	٣١
«إن الله يحب الطلق الوجه. . .»	٤٣
«إن الله يكره أذى المؤمن»	٢٥
«إنها كانت تأتينا أيام خديجة. . .»	٣١
«أنه كان ينبسط في مال أبي بكر رضي الله عنه. . .»	٣٧
«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله. . .»	٥٧
«الإيمان بضعة وسبعون ـ أو ستون ـ باباً. . .»	٢٢
«التجار فجار إلا من بر وصدق»	٤١
«تفرشه معروفك، وتجنبه أذاك. . .»	٣٩
«الحياء من الإيمان. . .»	٢٣
«خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال. . .»	٣٩
«خيركم خيركم لأهله»	٣٨
«دعاكم أخوكم، وتكلف لكم. . .»	٥١
«الدين النصيحة. . .»	٥٧
«رأس العقل بعد الدين التودد. . .»	٤٧
«سيد القوم خادمهم»	٤٤
«الصلاة وما ملكت أيمانكم. . .»	٣٩
«علامةُ المنافق ثلاث: إذا حدث. . .»	٢٤
«العلماء ورثة الأنبياء. . .»	٥٨
«كاد الحسد أن يغلب القدر»	٢٢
«كان رسول الله ﷺ لا يأنف. . .»	٣٢
«لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»	٦١
«ليس بمؤمن من يشبع وجاره. . .»	٤٢
«ليس منا من لم يوقر كبيرنا. . .»	٥٣

الحديث	الصفحة
ما خير ما أُعطي المرء؟ قال: «حسن الخلق»	١٨
«ما رأيت من ناقصات عقل ودين. . .»	٣٨
«مثل المؤمنين إذا التقيا كاليدين. . .»	٤٦
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم. . .»	١٥
«المرأة كالضلع إن أقمتها. . .»	٥٨
«المرء على دين خليله. . .»	١٦
«مطل الغني ظلم»	٤٠
«من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة. . .»	٥٣
«من أخلاق المؤمنين والصديقين. . .»	٤٣
«من اعتذر إليه أخوه المسلم. . .»	٤٨
«من أقال نادماً بيعته أقال الله. . .»	٤٠
«من سعادة المرء أن يكون إخوانه صالحين»	٢٤
«من العقوق أن يرى أبواك رأياً. . .»	٥٩
«من لا يَرحم لا يُرحم. . .»	٣٧
«من لم يهتم للمسلمين فليس منهم. . .»	٦٢
«من موجبات المغفرة طيب الكلام»	٣٧
«المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص. . .»	١٥
«المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف. . .»	٣٧
«نية المؤمن أبلغ من عمله»	٢١
«نية المؤمن خير من عمله»	٤٢
«نعم: الصلاة عليهما والاستغفار لهما. . .»	٥٩
«هم إخوانكم جعلهم الله تعالى تحت أيديكم. . .»	٣٨
«وأين الكبراءُ»	٥٤
«لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا. . .»	٣٧
«لا تحاسدوا»	٢٢

الحديث	الصفحة
«لا تغضب. . .»	٣٦
«لا تؤذ جارك بقتار قدرك. . .»	٤٢
«لا يجد العبد حلاوة الإيمان حتى. . .»	٤٠
«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. . .»	٤٦
«لا يدخل الجنة قتات»	٤٥
«لا يؤمن أحدكم حتى يأمن جاره. . .»	٤٢
«لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»	٢٦
«يا معشر التجار هذه بيوع يخالطها. . .»	٤١
«يقول الله عز وجل أين الذين كانوا ينزهون. . .»	٤٩

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة المحقق	٥
ترجمة المؤلف	٨
ديباجة المصنف	١٥
[آداب العشرة]	١٨
حُسْنُ الخُلُق	١٨
تحسين العيوب	١٨
معاشرة المؤمن	١٩
أوجه المعاشرة	١٩
الصفح عن العثرات	٢٠
موافقة الإخوان	٢١
الحمد على الثناء	٢١
ترك الحسد	٢١
عدم المواجهة بما يكره	٢٢
ملازمة الحياء	٢٢
المروءة والمحبة	٢٣
إظهار الفرح والبشاشة	٢٣
صحبة العالم العاقل	٢٣
سلامة القلب وإسداء النصيحة	٢٤

الموضوع	الصفحة
حنث الوعد	٢٤
صحبة الوقور	٢٥
الإخلاص في الصحبة	٢٥
ترك الأذى	٢٥
حسن العشرة	٢٥
رأي عمر في المودة	٢٦
حسن الظن	٢٦
معرفة أسماء الإخوان وأنسابهم	٢٦
مجانبة الحقد	٢٧
حفظ العهد	٢٨
إقلال العتاب	٢٨
ترك الاستخفاف	٢٨
ملازمة الصَّديق	٢٩
قدسية الصداقة	٢٩
التواضع والتكبر	٣٠
جوامع العشرة	٣٠
حفظ المودة والأخوّة	٣١
صحبة السلامة	٣١
الإيثار والإكرام	٣٢
حقوق الفقراء	٣٢
حسن العشرة	٣٢
حفظ الأسرار	٣٣
قبول المشورة	٣٣
إيثار الأصحاب	٣٤
التخلُّـق بمكارم الأخلاق	٣٤

الموضوع	الصفحة
موافقة الإخوان	٣٥
الصحبة والوفاء	٣٥
ترك المداهنة	٣٥
تحري الموافقة	٣٥
الذب عن الإخوان	٣٦
احتمال الأذى	٣٦
الانبساط في النفس والمال	٣٧
مجانبة الخصال الذميمة	٣٧
بغض الدنيا	٣٧
عشرة الأهل والنسوان	٣٨
حسن معاشرة الخادم	٣٨
عشرة أهل الأسواق والتجار	٣٩
العفو عن الهفوات	٤٢
حسن الجوار	٤٢
طلاقة الوجه	٤٣
حرمة الإخوان	٤٤
المشاركة في السراء والضراء	٤٤
ترك المن	٤٤
الإعراض عن الواشي النّمّام	٤٥
الوفاء في الحياة والوفاة	٤٥
الأخ الموافق	٤٥
ستر العورات	٤٦
هجر استبقاء الود	٤٦
التودد والصفح	٤٦
حفظ العهد	٤٧

الموضوع	الصفحة
التغافل	٤٨
ترك الوقيعة	٤٨
قبول الاعتذار	٤٨
قضاء حوائج الإخوان	٤٩
مشاهدة الإخوان	٤٩
صوت السمع واللسان	٤٩
رد الجواب	٥٠
أدب الاستئذان	٥٠
إفطار المدعو	٥١
تفقد الخلان والإخوان	٥١
فهم نفوس الأصحاب	٥٢
حفظ العهود	٥٢
مواساة الإخوان	٥٢
الصبر على الهجران	٥٣
وصية علقمة لابنه	٥٣
التوقير والرحمة	٥٣
أدب الأحداث	٥٤
دوام العهود	٥٤
التمادي في الخصام	٥٤
معرفة أقدار الرجال	٥٥
مخالف الاعتقاد	٥٥
ذو الودّ القديم	٥٦
الإخاء والثناء	٥٦
[آداب الصحبة]	٥٦
صحبة الله	٥٦

الموضوع	الصفحة
صحبة النبي ﷺ	٥٦
صحبة الصحابة وآل البيت	٥٦
صحبة أولياء الله	٥٧
صحبة السلطان	٥٧
صحبة الأهل والولد	٥٧
صحبة الإخوان	٥٨
صحبة العلماء	٥٨
صحبة الوالدين	٥٨
صحبة الضيف	٥٩
[آداب الجوارح]	٥٩
أدب البصر	٦٠
أدب السمع	٦٠
أدب اللسان	٦٠
أدب اليدين	٦٠
أدب الرجلين	٦٠
[آداب البواطن]	٦١
عنوان أدب الباطن	٦١
اقتران الأدب بالعلم والحال والصحبة	٦١
الباطن مطلع الله	٦١
أوجه مراعاة الباطن	٦٢
فهرس الآيات القرآنية	٦٣
فهرس الأحاديث الشريفة	٦٤
فهرس المواضيع	٦٨